من عناية
السلف بالقرآن الكريم

الدكتور/ بدر بن ناصر البدر
قسم القرآن وعلومه ـ كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المقدمـــة :

الحمد لله رب العالمين إله الأولين والآخرين والصلاة والسلام علـــى أشـــرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد أنزل الله عز وجل كتابه القرآن الكريم نوراً وهدى للناس، كما قال تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ ﴾[1]، وهداية القرآن قد انداحت دائرها منذ القدم، فانتظمت الإنس والجن والدنيا والآخرة لخصائص ومميزات انفردت بها تلك الهداية، قال بعضهم:" وهداية القرآن تمتاز بأنها عامة وتامة وواضحة.

أما عمومها فلأنها تنتظم الإنس والجن في كل عصر ومصر، وفي كل زمان ومكان، قال سبحانه وتعالى﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾[2]، وقال جلت حكمته:﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي

(١) سورة المائدة، من الآيتين ١٥- ١٦.

(٢) سورة الأنعام، من الآية ١٩.

﴿ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾[1]، وقال عز اسمه:﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾.[2]

وأما تمام هذه الهداية فلأنها احتوت أرقى ما عرفت البشرية وعرف التاريخ من هدايات الله والناس، وانتظمت كل ما يحتاج إليه الخلق في العقائد والأخلاق والعبادات والمعاملات على اختلاف أنواعها، وجمعت بين مصالح البشر في العاجلة والآجلة، ونظمت علاقة الإنسان بربه وبالكون الذي يعيش فيه، ووفقت بطريقة حكمية بين مطالب الروح والجسد.

وأما وضوح هذه الهداية فلعرضها عرضاً رائعاً مؤثراً، توافرت فيه كل وسائل الإيضاح وعوامل الإقناع، أسلوب فذّ معجز في بلاغته وبيانه، واستدلال بسيط عميق يستمد بساطته وعمقه من كتاب الكون الناطق، وأمثال خلابة تخرج أدق المعقولات في صورة أجلى الملموسات، وحكم بالغات تبهر الألباب بمحاسن الإسلام وجلال التشريع، وقصص حكيم مختار يقوي الإيمان واليقين ويهذب النفوس والغرائز، ويصقل الأفكار والعواطف .... ويصور له مستقبل الأبرار والفجار تصويراً يجعله كأنه حاضر تراه الأبصار في رابعة النهار".[3]

فهداية القرآن الكريم ليست مقصورة على قوم دون قوم، أو خاصة بفئة دون فئة، ولكنها للإنسانية جمعاء إذا آمنت وصدقت به وسارت على هديه والتزمت منهجه واستضاءت بنوره، كما قال تعالى:﴿ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ

---

(١) سورة الأنعام ، من الآية ٩٢.

(٢) سورة الأعراف، من الآية ١٥٨.

(٣) مناهل الفرقان ٢/١٣٤-١٣٥.

﴿ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾[١]، فهو حجة الله على الناس كافة، به عزهم ورفعتهم متى تمسكوا به وانقادوا له، وعليه يكون الحساب والجزاء، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾،[٢] وقال عليه الصلاة والسلام: "والقرآن حجة لك أو عليك".[٣] وقد اجتهد المسلمون قديماً وحديثاً في العناية بالقرآن الكريم من جميع الجوانب وفي شتى المجالات، يرومون بذلك الاهتداء به والاستضاءة بنوره، فقد ذكر تعالى جماع أهداف القرآن الكريم بقوله:﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[٤] وهذا يؤكد أن القرآن ليس للتلاوة فقط وإن جاء الأمر به في قوله تعالى:﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[٥] وقوله عز وجل:﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ﴾[٦] ورتب على ذلك الأجر العظيم والثواب الجزيل، بل المراد الأعظم تدبر آياته وتأملها والنظر فيها لتكون الهداية به، ولن يتحقق ذلك إلا بالعمل به والتحاكم

---

(١) سورة إبراهيم من الآية ١.

(٢) سورة الزخرف، الآية ٤٤.

(٣) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الطهارة- باب فضل الوضوء، ١/١٠٠ من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

(٤) سورة الأسراء من الآية ٩.

(٥) سورة العنكبوت، من الآية ٤٥.

(٦) سورة النمل من الآيتين ٩١-٩٢.

ورد الأمور إليه، كما قال تعالى:﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾.[1]

وإخراج الناس من الظلمات إلى النور ومن حياة الشقاء والتعاسة إلى الحياة الطيبة والسعادة الهانئة لن يكون إلا بالعمل بالقرآن والتمسك بتوجيهاته في جميع جوانب الحياة، والعناية به في شتى المجالات، دون غلو أو جفاء، و بلا إفراط أو تفريط، ودون زيغ أو فتنة، بل كما قال تعالى:﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[2] وقال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ ﴾الآية،[3] وهذا هو الإيمان الكامل المتكامل، والعناية الحقة الصادقة بالقرآن الكريم، حين يقترن الإيمان الصادق بأن القرآن الكريم كلام الله عز وجل له المكانة العظمى في النفوس والتصديق التام والتعظيم الكامل في القلوب مع العناية به تلاوة لآياته وحفظاً لها، تدبراً وتأملاً في هداياها ودلالاتها، خدمة له بتفسيره وبيان أحكامه والعلم بشريعته والوقوف على نكاته ولطائفه، تحقيقاً تاماً في العمل به والتقيد بتوجيهاته وتطبيق أحكامه والتزام آدابه، كما حكى جل وعلا حال المؤمنين الصادقين بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ

(١) سورة ص ، الآية ٢٩.

(٢) سورة آل عمران، من الآية ٧.

(٣) سورة الأنفال ، من الآية ٢٤.

﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1] فلا يلقي قياده لهواه ولا يستسلم لشهواته، ولا ينحرف وراء رغباته وملذاته، حتى يقع في وحل الغواية والضلال.

وإن الناظر في سير سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى ليرى منهم عناية بالغة بكتاب الله عز وجل من جميع الجوانب وفي شتى المجالات، يقتدون في ذلك بالأسوة القدوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، لا يغفلون جانباً على حساب جانب آخر في العناية به، بل جاءت عنايتهم بكتاب الله عز وجل كاملة تامة، مع ما ينتابهم من القصور والنقص، إذ هم من جملة البشر، وقد اعترفوا بذلك على أنفسهم.

وفي هذا البحث عرض متواضع لوجوه عنايتهم بكتاب الله عز وجل، ووقوف على شيء من سيرهم العطرة في ذلك، إذ أن الإحاطة بجميع ما ثبت عنهم عسير بل متعذر، وقد بذلت جهدي في استقراء كتب التراجم وما كتب في التفسير بالمأثور وفي فضائل القرآن وكتب السنة وغيرها مما هو مظنة أن أجد فيه ما يخدم البحث ويثريه، وقد جعلت البحث بعنوان: (من عناية السلف بالقرآن الكريم).

وقد جاءت خطة البحث حسب الآتي:

- المقدمة.
- المبحث الأول: تعظيم السلف القرآن الكريم وإجلاله.
- المبحث الثاني : اهتمامهم بحفظ القرآن والإكثار من تلاوته.

---

(١) سورة النور، الآية ٥١.

- المبحث الثالث: عنايتهم بترتيل القرآن وتجويده وتحسين الصوت حال تلاوته.

- المبحث الرابع: علمهم بتفسير القرآن ومعرفة أحكامه والفتيا به.

- المبحث الخامس: بيانهم نعوت أهل القرآن وعنايتهم بتحقيقها.[1]

- الخاتمة.

- ثبت المصادر والمراجع.

وقد سرت في كتابة هذا البحث حسب المنهج الآتي :

- عزوت الآيات القرآنية، ذاكراً اسم السورة ورقم الآية.

- خرجت الأحاديث، مكتفياً بالصحيحين أو أحدهما، فإن لم يكن فمما تيسر لي من كتب السنة، مع ذكر حكم أئمة الحديث المتقدمين والمتأخرين عليه، إن تيسر ذلك.

- خرجت الآثار وعزوتها إلى أصحابها، دون توسع في ذكر مصادرها.

- لم أترجم الأعلام الذين رُويت عنهم آثاراً قولية أو فعلية في البحث لكثرتها، وإنما اكتفيت بذكر اسمه وتاريخ وفاته في أول موضع جاء فيه.

- بينت معاني الكلمات الغريبة.

وبعد هذا كله فإن مادة هذا البحث واسعة تحتاج إلى استقراء تام وتدوين دقيق، وقد بذلت جهدي في ذلك مع اعترافي بالتقصير وعدم الإتيان على كل ما أريد، أسأل الله عز وجل أن ينفع به وأن يجعل كتابه القرآن الكريم حجة لنا لا حجة علينا إنه سميع مجيب الدعاء.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) ترك الباحث الحديث عن عناية السلف بتعلم القرآن وتعليمه وإكرام أهله لأنه أفردها ببحث مستقل سينشر قريباً – إن شاء الله تعالى- في مجلة جامعة أم القرى بعنوان:"العناية بتعليم القرآن وإكرام أهله في حياة المسلمين".

المبحث الأول: تعظيم السلف القرآن الكريم وإجلاله :

إن لكتاب الله عز وجل المكانة العظيمة والمترلة الجليلة، إذ هو كلام الله عز وجل مترل غير مخلوق، وتعظيمه وإجلاله دليل على تعظيم الله سبحانه وخشيته، فليس فيما نرى ونسمع كتاب أحيط به من الإجلال والتقديس والتعظيم والاحترام من جميع الجوانب وفي صور متعددة كالقرآن الكريم، فقد وصفه الله تعالى بأنه كتاب مكنون، وحكم بأنه لا يمسه إلا المطهرون، وأقسم على ذلك بقوله:﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴾[1] وقد أولى سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى هذا الأمر عناية بالغة، معتمدين في ذلك على نصوص الوحيين الكتاب والسنة، وما أداه إليه اجتهادهم وحرصهم على تعظيم القرآن وإجلاله، فالتزموا آداباً في التعامل معه وسلكوا طرقاً شتى تدل على احترامه وتوقيره عندهم، يدعون غيرهم إلى ذلك بعد أن كانوا قدوة لهم، ويحذرون من كل قول أو تصرف يظهر فيه تنقصه أو الإخلال بمترلته أو الحط من قدره، وينكرون على من يخل بآدابه وما يجب تجاهه أو يتهاون في ذلك، وهذا الاحترام والإجلال موصول لحملته وأهله المعتنين به، فهم أهل الله وخاصته، يتضح ذلك من خلال ما يلي:

أولاً: ملاحظة آداب تلاوته والالتزام بها قبلها وأثناءها:

وقد استفاد العلماء من هذه الآداب من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ودونوها في مؤلفاتهم يستشهدون على ذلك بامتثال

---

(١) سورة الواقعة، الآيات ٧٥-٧٩.

سلفنا الصالح هذه الآداب ورعايتها والتحذير من ضدها، فمن ذلك استحباب الوضوء قبل تلاوته والتزام الطهارة حالها، مع إحسان الجلسة والاستعداد التام لها بالسواك وقطع المشغلات والملهيات والبعد عن الصوارف والمعوقات، وترك الضحك واللغط حال القراءة.(١)

ومن أدلة ذلك قوله تعالى:﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾،(٢) على خلاف بين المفسرين في المراد بقوله:"المطهرون" أهم الملائكة أم المتطهرون من الحدث بالوضوء؟ وقد رجح الإمام المفسر محمد بن أحمد القرطبي [ت ٦٧١هـ] أن الآية دليل وجوب الوضوء عند مس المصحف، واستدل بحديث عمرو بن حزم الآتي، وحكى هذا الرأي عن الجمهور.(٣)

ومن الأدلة أيضاً كتابه صلى الله عليه وسلم إلى عمرو بن حزم وفيه:" وأن لا يمس القرآن إلا طاهر"(٤)، قال الإمام أبو بكر محمد بن الحسين الآجري [ت ٣٦٠ هـ] :"وأحب لمن أراد قراءة القرآن من ليل أو نهار أن يتطهر وأن يستاك، وذلك تعظيم للقرآن، لأنه يتلو كلام الرب عز وجل".(٥)

---

(١) ينظر: أخلاق حملة القرآن ٧٣، التبيان في آداب حملة القرآن ٥٨-٦١، ١٥١-١٥٤.

(٢) سورة الواقعة ، الآية ٧٩.

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن، ١٧/٢٢٥-٢٢٦.

(٤) رواه مالك في الموطأ – كتاب القرآن – باب الأمر بالوضوء لمن مس القرآن، ١/١٩٩، والدارمي في سننه – كتاب الطلاق- باب لا طلاق قبل نكاح، ٢/١٦١، وأبو عبيد في فضائل القرآن، ٥٧-٥٨ وغيرهم، وهو ضعيف من طريق عمرو بن حزم لكن له شواهد أخرى تقويه، ينظر: بلوغ المرام ٢٢ إرواء الغليل ١/١٥٨.

(٥) ينظر: أخلاق حملة القرآن ٧٣.

وفي استحباب السواك قبل القراءة تعظيماً لكلام الله عز وجـــل، روى علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إن العبد إذا تسوك ثم قام يصلي قام الملك خلفه فيستمع لقراءته، فيدنو منه –أو كلمة نحوهـــا–"[1] الحديث.

وقد ذهب بعض السلف إلى كراهية أكل الثوم والكراث والبصل والامتناع منه قبل قراءة القرآن، إكراماً وتقديراً لكلام الله عز وجل، قال قتادة بـــن دعامـــة الدوسي [ت ١١٧هـــ]:" ما أكلت الكراث منذ قرأت القـــرآن"،[2] وعـــن مسافر الشامي قال: سمعت يزيد بن عبدالرحمن بن أبي مالك [ت ١٣٨هـــ] يقول:"إن أفواهكم طرق من طرق الله تعالى، فنظفوها ما استطعتم، قال: فما أكلت البصل منذ قرأت القرآن"[3]، ويحكي مجاهد بن جبر[ت ١٠٣هـــــ] رحمه الله تعالى هذا الأدب الرفيع مع القرآن الكريم عن أهل زمانه فيقول:"كان يكره لمن يريد قيام الليل أن يأكل الثوم والبصل والكراث، ويستحبون أن يمس الرجل عند قيامه طيباً، إذا قام من الليل يمسح شاربه وما أقبل من اللحية".[4]

وقد استحبوا أيضاً للقارئ في غير الصلاة أن يستقبل القبلة، لأن تلاوة القرآن عبادة يتقرب بها إلى ربه، فناسب فيها استقبال القبلة، ولأن في ذلك تعظيماً لكلام الله عز وجل، واستحبوا أن يجلس متخشعاً بسكينة ووقار في أدب وخضوع، كجلوسه بين يدي معلمه، هذا هو الأكمل، ولو قرأ قائماً أو

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى – كتاب الطهارة– باب تأكيد السواك عند الاستيقاظ من النوم ٣٨/١، والبزار في مسنده ٢١٤/٢ وقال:"لا نعلمه يروى عن علي بإسناد أحسن من هذا الإسناد"، وجود الألباني إسناده في السلسلة الصحيحة ٢١٤/٣.

(٢) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٥٥، التذكار ١٠٨.

(٣) ينظر فضائل القرآن لأبي عبيد، ٥٥.

(٤) ينظر فضائل القرآن لأبي عبيد، ٥٥ ، التذكار ١٠٨.

مضجعاً أو في فراشه أو غير ذلك من الأحوال جاز، ولكن دون الأول، فقد كان أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي [ت ٩٣هـ] إذا قرأ اعتم ولبس ثيابه وارتدى واستقبل القبلة،[١] ومما يدل على الجواز قوله تعالى:﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[٢] الآية، وعن عائشة رضي الله عنها قالت : "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم يتكئ في حجري[٣] وأنا حائض ثم يقرأ القرآن "، رواه البخاري ومسلم[٤].

وقد فقه الصحابة أن الأمر فيه سعة، فأخذوا بالرخصة، فعن أبي موسى عبدالله بن قيس الأشعري رضي الله عنه [ت ٤٢هـ] قال:" إني أقرأ القرآن في صلاتي وأقرأ على فراشي"،[٥] وعن عائشة رضي الله عنها [ت ٥٧هـ] قالت:" إني لأقرأ حزبي وأنا مضجعة على السرير".[٦]

---

(١) ينظر : التذكار ١٠٨.

(٢) سورة آل عمران ، الآيتان ١٩٠-١٩١.

(٣) حجري: حضني ، اللسان "حجر" ٤/١٦٧.

(٤) رواه البخاري في صحيحه – كتاب الحيض – باب قراءة الرجل في حجر امرأته وهي حائض ١/ ٤٠١ برقم ٢٩٧ واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه – كتاب الحيض- باب جواز غسل الحائض رأس زوجها .... والاتكاء في حجرها وقراءة القرآن فيه ٣/٢١١.

(٥) رواه عبد الرزاق في المصنف ٣/٣٥٧، وانظر: التبيان ٦٤.

(٦) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٦/١٤٣.

كما استحبوا أيضاً عند إرادة الشروع في القراءة الاستعاذة والبسملة، قاله جمهور العلماء، امتثالاً لأمر الله تعالى بقوله:﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾.[١] [٢]

ومن الأدب أيضاً أن يكظم الشخص تثاؤبه ما استطاع، ولا يرفع به صوته، إذ هو قبيح لا يجمل بالعاقل، ويتأكد هذا في حق المسلم الذي يقرأ كلام الله عز وجل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب، فإذا عطس فحمد الله فحق على كل مسلم سمعه أن يشمته، وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان فليرده ما استطاع، فإذا قال: هاء، ضحك منه الشيطان " رواه البخاري.[٣]

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"إذا تثاءب أحدكم فليمسك بيده على فيه، فإن الشيطان يدخل" رواه مسلم.[٤]

وقد التزم سلفنا الصالح هذا الأدب مع القرآن الكريم وأرشدوا إليه، وحذروا من ضده مما لا يجمل بقارئ القرآن، قال مجاهد رحمه الله تعالى:" إذا تثاءبت وأنت تقرأ القرآن فأمسك عن القراءة حتى يذهب تثاؤبك".[٥] وعن

---

(١) سورة النحل، الآية ٩٨.

(٢) ينظر: التبيان ٦٣- ٦٤ بتصرف.

(٣) رواه البخاري في صحيحه – كتاب الأدب – باب ما يستحب من العطاس، ويكره من التثاؤب ١٠/٦٠٧ برقم ٦٢٢٣.

(٤) رواه مسلم في صحيحه- كتاب الزهد- باب تشميت العاطس وكراهة التثاؤب ١٨/١٢٢.

(٥) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٥٦، أخلاق حملة القرآن ٧٥، التذكار١٠٩.

عكرمة مولى ابن عباس [ت ١٠٤هـ] قال:" إذا تثاءب أحدكم وهو يقرأ القرآن فليسكت، ولا يقل : هـا هـا وهو يقرأ ".[١]

ومثله أيضاً خروج الريح،فإن على القارئ إذا خرجت منه الريح أن يمسك عن القراءة حتى تنقضي إجلالاً لكلام الله عز وجل، يقول عبد العزيز بن أبي رواد [ت ١٥٩ هـ]:" كان مجاهد إذا قرأ فوجد ريحاً أمسك عن القراءة"،[٢] وقال رجل: لعطاء بن أبي رباح القرشي مولاهم[ت ١١٤ هـ] " أقرأ القرآن فيخرج مني الريح ؟ قال:" تمسك عن القراءة حتى تنقضي الريح".[٣]

ومن دقيق أدبهم واحترامهم كلام الله عز وجل وهو أعظم الذكر وأفضله ما روي عن عبدالله بن عباس [ت ٦٨ هـ] أنه كان يكون بين يديه تور[٤] فيه ماء، إذا تنخع تمضمض ثم أخذ في الذكر، وكان كلما تنخع تمضمض.[٥]

ومما اعتنى به سلفنا الصالح حال القراءة احتراماً للقرآن اجتناب الضحك واللغط والحديث أثناء القراءة، إلا كلاماً يضطر إليه، امتثالاً لقوله تعال:﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾،[٦] فعن نافع أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما [ت ٧٣ هـ] " كان إذا قرأ

---

(١) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٥٦، الجامع لأحكام القرآن ٢٧/١.

(٢) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٥٥-٥٦، التذكار ١٠٨.

(٣) ينظر: أخلاق حملة القرآن ٧٥.

(٤) تور: إناء يشرب فيه من صفر أو حجارة، اللسان "تور" ٩٦/٤

(٥) ينظر: التذكار ١٠٨.

(٦) سورة الأعراف، الآية ٢٠٤.

القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه"،[1] ويجتنب أيضاً ما يقع فيه بعض الغافلين حال القراءة من العبث باليد ونحوها، فإنه يناجي ربه، ومن ذلك النظر إلى ما يلهي ويشغل الذهن ويشوش الفكر فيجتنبه القارئ.[2]

قال الإمام القرطبي :" ومنها ــ أي من الآداب التي تلزم القــارئ ــ يستحب إذا أخذ في سورة لم يشتغل عنها حتى يفرغ منها إلا من ضـــرورة، وكذلك إذا أخذ في القراءة لم يقطعها ساعة فساعة، ولا يخللها بكلام الآدميين من غير ضرورة، فإن فيه استخفافاً بالقرآن، كما لو قطع مكالمة أحد فيحدث غيره ممن هو دونه، فإن فيه استخفافاً بذلك، ولأن في إتباع القرآن بعضه بعضاً بالقراءة من البهجة ما يظهر عند الإتباع ويخفى عند التقطيع، وفي سلب زينــة قراءة القرآن، فلذلك كان مكروهاً.

ومنها ينبغي أن يخلو بقراءته حتى لا يقطع عليه أحد بكلام فيخلطــه بجوابه، لأنه إذا فعل ذلك زال عنه سلطان الاستعاذة التي استعاذ بها في البــدء، وقال يحيى بن معاذ -الرازي [ت٢٥٨ هــ]-:" أشتهي من الدنيا شيئين: بيتاً خالياً، ومصحفاً جيد الخط أقرأ فيه القرآن".[3]

ثانياً: تأدبهم في الحديث عنه والتعامل معه:

على هذا درج سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى، وتواصوا به وربوا عليه أبناءهم وطلابهم ودعوا إليه غيرهم، تعظيماً لكلام الله عز وجل وإكراماً له، يقرنون في ذلك القول بالعمل، والتعليم والإنكار على من خالف، وقد روي عنــهم في

---

(١) رواه البخاري في صحيحه – كتاب التفسير- باب تفســير قوله تعالى :" نساؤكم حرث لكم". ١٨٩/٨ برقم ٤٥٢٦.

(٢) ينظر: التبيان ٧٢-٧٣ بتصرف.

(٣) ينظر: التذكار في أفضل الأذكار ١٠٩.

ذلك أحوال مرضية، وأقوال مسددة، تدل على أدب جم واحترام تام لكتاب الله عز وجل.

فمن ذلك أهم كرهوا تصغير كلمة (مصحف) لما قد يدل عليه التصغير من الاحتقار والامتهان والضعة، يحكي ذلك عنهم إبراهيم بن يزيد النخعي [ت ١٩٢هـ] بقوله:" كانوا يكرهون أن يصغروا المصحف، وكان يقال: عظموا كتاب الله"[١]، وعن مجاهد قال:" كان يكره يقول: مصيحف أو مسيجد"، وعن سعيد بن المسيب [توفي بعد٩٠هـ] قال: "لايقل أحدكم: مصيحف أو مسيجد، ما كان لله فهو عظيم حسن جميل".[٢]

وقال رجل لأبي العالية :" سورة صغيرة – أو قال قصيرة – فقال: أنت أصغر منها، وأما القرآن فكله عظيم"،[٣] وفي رواية قال:" أنت أصغر وألأم، القرآن كله عظيم".[٤]

وروي عن خالد بن مهران الحذاء [ت ١٤١هـ] أنه قال لمحمد بن سيرين [ت ١١٠هـ] : سورة خفيفة، فقال ابن سيرين: من أين تكون خفيفة والله تعالى يقول:﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴾،[٥] ولكن قل يسيرة، فإن الله تعالى يقول:﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[٦]، [٧] فهنا

---

(١) ينظر: المصنف لابن أبي شيبة، ١٤٨/٢، المصاحف ١٥١.

(٢) الأثران في المصاحف ١٧٠-١٧١ ، المصنف لابن أبي شيبة ١٤٨/٦.

(٣) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٥٩، التذكار ١٢١.

(٤) ينظر: المصاحف ١٧١، غاية النهاية ٢٨٥/١.

(٥) سورة المزمل: الآية ٥.

(٦) سورة القمر: الآية ١٧.

(٧) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٥٩، المصاحف ١٧١.

جمع ابن سيرين بين الإنكار على من خالف ثم بيَّن له التعامل الحسن والواجب المفروض في التعبير عن كلام الله عز وجل، لكن يشكل على هذا ما جاء في بعض الأحاديث والآثار الموقوفة على بعض الصحابة من تسمية قصار المفصل، ومن ذلك ما رواه مروان بن الحكم قال:" قال لي زيد بن ثابت:مالك تقرأ في المغرب بقصارٍ، وقد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بطولى الطوليين"[1]، وما رواه أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:ما صليت وراء أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من فلان، قال سليمان – أي ابن يسار- :كان يطيل الركعتين الأوليين من الظهر ويخفف الأخريين، ويخفف العصر، ويقرأ في المغرب بقصار المفصل.."[2]، وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال:" ما من المفصل سورة صغيرة ولا كبيرة إلا وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤم الناس بها في الصلاة المكتوبة"[3].

والجواب عن هذا أن يقال: إن كان قول: قصار المفصل أو سورة صغيرة أو قصيرة، من باب الإخبار والإعلام وبيان السنة فلا حرج في ذلك، وعليه تحمل الأحاديث والآثار السابقة، أما إذا فهم أو خشي التنقص أو الاستخفاف عن طريق هذه الكلمات بكتاب الله عز وجل فهذا هو المنهي عنه فيما روي عن بعض السلف رحمهم الله تعالى.

ومن الأدب الذي يجب مراعاته مع القرآن الكريم ألا يقول أحدهم:" نسيت سورة كذا"، لما قد يدل عليه من الإهمال والغفلة وعدم العناية بما

---

(١) رواه البخاري في صحيحه- كتاب الأذان – باب القراءة في المغرب ٢/٢٤٦، برقم ٧٦٤، ورواه أبو داود في سننه –كتاب الصلاة- باب قدر القراءة في المغرب ١/٢١٥ برقم ٨١٢، وفيه " بقصار المفصل".

(٢) رواه أحمد في المسند ٢/٣٠٠

(٣) رواه أبو داود في سننه – كتاب الصلاة – باب من رأى التخفيف فيها ١/٢١٥، برقم ٨١٤.

حفظه، ولذلك روى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" لا يقل أحدكم نسيت آية كيت وكيت بل هو نُسّي " رواه مسلم(١)، وعنه أيضاً قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" بئسما لأحدهم يقول: نسيت آية كيت وكيت، بل هو نُسّي" رواه البخاري ومسلم(٢).

ونسيان القرآن على حالتين:

الأولى: أن ينشأ عن اشتغال بأمر ديني كالجهاد والتعليم، أو بـــأمر لا طاقة له به فهذا معفو عنه ولا حرج فيه، وعليه يحمل قول النبي صلى الله عليه وسلم عندما سمع رجلاً يقرأ سورة بالليل:"يرحمه الله، لقد أذكرني آيـــة كـــذا وكذا، كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا" رواه البخاري ومسلم.(٣)

الثانية: أن ينشأ نسيانه لاشتغاله بأمر دنيوي -لا سيما إن كان محظوراً- فهذا حرام يمتنع عليه، وقد عده بعض السلف من كبائر الذنوب، قال الضحاك بن مزاحم [ت ١٠٦هـ] :"ما من أحد تعلم القرآن ثم نسيه إلا بذنب أحدثه، لأن الله يقول ﴿ **وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ** ﴾، وإن نسيان القرآن من أعظم المصائب"،(٤) وعن أبي العالية قال:" كنا

---

(١) رواه مسلم في صحيحه -كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب فضائل القرآن والأمر بتعـــاهده ٧٨/٦ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه -كتاب فضائل القرآن – باب نسيان القرآن ٨٥/٩ برقم ٥٠٣٨-٥٠٣٩، ومسلم في صحيحه – كتاب صلاة المسافرين وقصرها -باب فضائل القرآن والأمر بتعاهده -٧٧/٦-٧٨.

(٣) رواه البخاري في صحيحه -كتاب فضائل القرآن – باب نسيان القرآن ٨٥/٩ برقم ٥٠٣٨-٥٠٣٩، ومسلم في صحيحه – كتاب صلاة المسافرين وقصرها -باب فضائل القرآن والأمر بتعاهده- ٧٧/٦-٧٨.

(٤) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ١٠٤، وابن أبي شيبة في المصنف ١٢٤/٦.

نعد من أعظم الذنوب أن يتعلم الرجل القرآن ثم ينام عنه حتى ينساه"،[1] وعن ابن سيرين في الذي قرأ القرآن ثم نسيه "كانوا يكرهونه ويقولون فيه قولاً شديداً"،[2] قال القرطبي:" من حفظ القرآن أو بعضه فقد علت رتبته بالنسبة إلى من لم يحفظه، فإذا أخل بهذه الرتبة الدينية حتى تزحزح عنها ناسب أن يعاقب على ذلك، فإن ترك معاهدة القرآن يفضي بالرجل إلى الجهل، والرجوع إلى الجهل بعد العلم شديد"[3]، وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه [ت٣٢ هـ]:" إني لأمقت القارئ أن أراه سميناً نسياً للقرآن".[4]

وقد يشتد النكير على المخالف ويهجر بسبب سوء تعبيره وقلة أدبه مع القرآن الكريم، "فقد صحب رجل أم الدرداء -هجيمة الدمشقية [ت ٨١هـ]- فقالت له:هل تحسن من القرآن شيئاً؟ قال: ما أحسن إلا سورة، ولقد قرأتها حتى أدبرتها[5]، قال فقالت: وإن القرآن ليدبر، فكفت دابتها وقالت: خذ أي طريق شئت".[6]

وقد استحبوا أيضاً ألا يحمل القرآن ولا يتناول بين الأيدي إلا على طهارة، تعظيماً وإجلالاً لكلام الله عز وجل، روى نافع عن ابن عمر أنه "كان لا يأخذ المصحف إلا وهو طاهر"،[7] وعن مالك بن أنس الأصبحي [ت ١٧٩هـ]:" أنه كان يكره أن يمس المصحف وإن كان بعلاقته- أو قال

---

(١) ينظر: فتح الباري ٨٦/٩.

(٢) ينظر: فتح الباري ٨٦/٩.

(٣) ينظر: فتح الباري ٨٦/٩.

(٤) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ١٠٤، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢٢٧/٤.

(٥) أدبرتها: أي جعلتها خلف ظهري معرضاً عنها، ينظر: القاموس "دبر" ٢٦/٢.

(٦) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٥٨.

(٧) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٥٨.

في علاقته أو كان على وسادة- إلا وهو طاهر، قال: وليس ذلك إلا إكراماً للقرآن".[1]

ومما اتفقوا عليه -إجلالاً للقرآن- كتابته في الشي الكبير وتحسين كتابته، وإيضاح خطه وتحقيقه، قال الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي [ت٦٧٦هـ] "اتفق العلماء على استحباب كتابة المصاحف وتحسين كتابتها وتبيينها وإيضاحها، وتحقيق الخط دون مشقة وتعليقه"،[2]وحرموا كتابته بشيء نجس أو في موضع ممتهن، أو في مكان لا يناسب قدسية كلام الله عز وجل، فعن أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل الأسدي [ت ٣٧هـ]:" أن عمر بن الخطاب وجد مع رجل مصحفاً قد كتبه بقلم دقيق، فقال:ما هذا؟ قال: القرآن كله فكره ذلك وضربه، وقال: عظموا كتاب الله، قال: وكان عمر إذا رأى مصحفاً عظيماً سُرّ به"،[3] وعن أبي حُكيمة العبدي قال:" كنت أكتب المصاحف، فبينما أنا أكتب مصحفاً إذ مر بي علي بن أبي طالب، فقام ينظر إلى كتابي، فقال: أَجْلل[4] قلمك، قال فقصمت من قلمي قصمة ثم جعلت أكتب فقال: نعم، هكذا نوره كما نوره الله عز وجل"،[5] وعن عمر بن عبد العزيز [ت ١٠١هـ] قال:" لا تكتبوا القرآن حيث يوطأ"،[6] وحكى هذا الأمر النخعي عن السلف بقوله:" كان يكره أن يكتب القرآن في

---

(١) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٥٨.

(٢) ينظر: التبيان ١٤٩.

(٣) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٢٤٣، التذكار١١٩.

(٤) أجلل: صغّر وخذ منه ليدق، القاموس " جلل " ٣/٣٥٠.

(٥) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٢٤٣، المصنف لابن أبي شيبة ١٤٨/٦، المصاحف ١٤٥.

(٦) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٥٧.

الشيء الصغير"،[1] لأنه عرضة للامتهان والضياع، وعن ابن سيرين أنه كره أن تكتب المصاحف مشقاً"،[2] [3] ورأى عمر بن عبدالعزيز ابناً له يكتب القرآن على حائط فضربه.[4]

قال الإمام القرطبي معللاً وجوب العناية بكتابة المصحف :"قال العلماء: وذلك أشبه بالإجلال والتعظيم، ألا ترى إلى الناس إذا أرادوا مكاتبة ملك أو سلطان تحروا لها من القراطيس أكبرها وأمتنها وأنقاها، ومن الخطوط أحسنها وأفخمها، ومن المداد أبرقه وأشده سواداً، وفرجوا السطور، و لم يقرمطوها، لئلا يكون قد ضنوا بشيء مما كانت الحاجة إليه في مكاتبته، فيكونوا قد ضيعوا قدره، فكتاب الله أولى بمثل ذلك التبجيل، وأيضاً فإن الكتاب كلما كان أكبر كان من الضياع أبعد".[5]

وقال أيضاً:" قال العلماء: ومن المساهلة فيه وترك الحَفَل به أن يصغر، فيكون عرضة للأيدي الخاطئة وذوي الأمانات المختلفة الناقصة، ولن يفعل هذا أحد بما عنده إلا إذا قل مقداره عنده، وخف على قلبه أمره".[6]

وقد ذهب طائفة من أهل العلم إلى كراهة بيع المصحف وشرائه، كعلقمة وابن سيرين والنخعي وشريح ومسروق وعبد الله بن يزيد، وذهب آخرون إلى الترخيص في الشراء وكراهية البيع بل والتغليظ فيه، روي هذا عن

---

(١) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٥٧ ، المصنف لابن أبي شيبة ١٤٨/٦، المصاحف ١٥١.

(٢) مَشْقاً: قال في القاموس: " وفي الكتابة مد حروفها"، "مشق" ٢٨٣/٣.

(٣) ينظر فضائل القرآن لأبي عبيد ، ٢٤٤، المصاحف ١٥١.

(٤) ينظر: التذكار ١٢٠.

(٥) ينظر: التذكار ١١٧.

(٦) ينظر: التذكار ١١٩.

عمر بن الخطاب وابنه عبد الله وأبي موسى الأشعري وجابر بن عبد الله وابن عباس وسعيد بن جبير وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، والصحيح جواز بيعه وشرائه، وهو مذهب طائفة من أهل العلم كابن عباس في رواية عنه والحسن البصري وعكرمة والحكم بن عتيبة وعامر الشعبي.

ولعل السبب في كراهة بيعه أو كراهة بيعه وشرائه معاً أن كتاب الله عز وجل أجل وأكرم من أن يؤخذ عليه ثمن يساويه ويكون قدراً له، والذين أجازوه إنما جعلوا الثمن لورقه وأجرة كتابته وعلاقته وما يحفظ فيه وغلافه ونحو ذلك،[1] فعن داود بن أبي هند البصري قال: سألت أبا العالية عن شراء المصاحف فقال: لو لم يوجد من يشتريها لم يوجد من يبيعها، قال: وسألت عامراً –يعني ابن شراحيل الشعبي [ت١٠٩هـ]- فقال: إنما يبيعون الكتاب والأوراق، ولا يبيعون كتاب الله".[2]

ولم يكن من هدي سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى تزيين المصاحف وتحليتها بالذهب والفضة، إذ هو مباهاة وتفاخر، وتبذير وإسراف، وبذل للأموال فيما لا فائدة فيه، كما أن في ذلك كسراً لقلوب الفقراء والمساكين وحرماناً لهم مما فيه منفعتهم وسد عوزهم وحاجتهم، وليس هذا هو الواجب تجاه كلام الله عز وجل، إنما الواجب تلاوته وتدبره والتأثر به والعمل بما فيه والوقوف عند حدوده والتحاكم إليه.

---

(١) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٢٣٧-٢٣٩، المصاحف ١٧٨-١٩٣، التبيان ١٥٤-١٥٥ بتصرف.

(٢) ينظر: المصاحف ١٩٢.

والمروي عن السلف في كراهية ذلك كثير، فعن أبي وائل شقيق بـن سلمة قال:" مُر على عبدالله – يعني ابن مسعود- بمصحف قد زين بالـذهب فقال:" إن أحسن ما زين به المصحف تلاوته بالحق"،[1] وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان إذا رأى المصحف قد فُضض أو ذُهّب قال:"أتغرون به السـارق، وزينته في جوفه"،[2] وكان أبو ذر جندب بن جنادة رضي الله عنـه [ت ٣٢ هـ] يقول :" إذا حليتم مصاحفكم وزوقتم مساجدكم فالـدبار علـيكم"، وروي مثله عن أبي الدرداء وأبي بن كعب وأبي هريرة رضي الله عنهم،[3] وعن الزبرقان بن عمرو بن أمية قال: قلت لأبي رزين:" إن عندي مصحفاً أريد أن أختمه بالذهب، قال:لا تزيدن فيه شيئاً من أمر الدنيا، قَلّ ولا كثر".[4]

وممن روي عنه جواز تزيين المصحف وتحليته عبد الله بن مسعود في رواية عنه ومحمد بن سيرين.[5]

أما كتابة المصاحف بالذهب فالأمر فيها أشد وأعظم، لذا حكى النهي عن ذلك إبراهيم النخعي بقوله: "كان يُكره أن تكتب المصاحف بالذهب".[6]

ثالثاً: تحريم الاستخفاف والاستهزاء به والسفر به إلى بلاد العدو:

من احترام القرآن وإجلاله صيانتُه من الاستخفاف به بذكره في أمـر يعرض من الدنيا والحديث به مع الآخرين، أو الإجابة به عن سؤال في حديث

(١) ينظر المصنف لابن أبي شيبة ٦/١٤٩، المصاحف ١٦٨، التذكار ١٢٠.

(٢) ينظر المصنف لابن أبي شيبة ٦/١٤٩، المصاحف ١٦٩، التذكار ١٢٠.

(٣) ينظر المصنف لابن أبي شيبة ٦/١٤٩، المصاحف ١٦٨.

(٤) ينظر المصنف لابن أبي شيبة ٦/١٤٩.

(٥) ينظر المصنف لابن أبي شيبة ٦/١٤٩، المصاحف ١٧٠.

(٦) ينظر المصنف لابن أبي شيبة ٦/١٤٩، المصاحف ١٦٧، التذكار ١٢٠.

الناس العام وإن عد بعضهم -لجهله- هذا الصنيع دليلاً على قوة الحفظ وفرط الذكاء وسرعة البديهة، بأن يستظهر الآية في مقام يناسب ما دلت عليه من أمر الدنيا، فهذا منهي عنه عند سلفنا الصالح، يحذرون من هذا الصنيع وينكــرون على من وقع فيه، نصحاً لكتاب الله عز وجل وأداءً لأمانة العلم والبلاغ.

عن إبراهيم النخعي قال:" كانوا يكرهون أن يتلو الآية عند الشيء يعرض من أمر الدنيا".[1]

قال أبو عبيد القاسم بن سلام [ت ٢٢٤هـ] :" وهذا كالرجل يريد لقاء صاحبه، أو يهم بالحاجة فتأتيه من غير طلب، فيقول كالمــازح: ﴿ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَـٰمُوسَىٰ ﴾،[2] وهذا من الاستخفاف بالقرآن، ومنه قول ابن شهاب – يريد: محمد بن مسلم بن شهاب الزهري [ت ١٢٥هـ]- "لا تناظر بكتاب الله ولا بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، يقول: لا تجعل لهمــا نظـيراً مــن القــول ولا الفعل"،[3] قال القرطبي:" والتأويل مثــل قولــك: إذا جــاء : ﴿ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَـٰمُوسَىٰ ﴾، أو عند رفع إنسان شــيئاً ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ ﴾،[4] ومثل قولــه:﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾،[5] عند حضور الطعام وأشباه هذا".[6]

---

(١) ينظر: المصنف لابن أبي شيبة ١٣٧/٦ فضائل القرآن لأبي عبيد ٥٨.

(٢) سورة طه ، من الآية ٤٠.

(٣) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٥٨-٥٩.

(٤) سورة البقرة من الآية ١٢٧.

(٥) سورة الحاقة، الآية ٢٤.

(٦) ينظر: التذكار ١١٦.

وأعظم من هذا الاستهزاء بالقرآن أو سبه ونحو ذلك فإن هذا من الكفر - عياذاً بالله عز وجل- لصريح قوله تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ .(١)

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب [ت ١٢٣٣هـ] معلقاً على قول الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد "باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول" أي: أنه يكفر بذلك لاستخفافه بجناب الربوبية والرسالة، وذلك منافٍ للتوحيد، ولهذا أجمع العلماء على كفر من فعل شيئاً من ذلك، فمن استهزأ بالله أو بكتابه أو برسوله أو بدينه كفر، ولو هازلاً لم يقصد حقيقة الاستهزاء إجماعاً"،(٢) وقال شيخ الإسلام ابن تيمية:" فقد أخبر أنهم كفروا بعد إيمانهم، مع قولهم : إنا تكلمنا بالكفر من غير اعتقاد له، بل إنما كنا نخوض ونلعب، وبين أن الاستهزاء بآيات الله كفر، ولا يكون هذا إلا ممن شرح صدراً بهذا الكلام، ولو كان الإيمان في قلبه منعه أن يتكلم بهذا الكلام".(٣)

قال القاضي عياض بن موسى الأندلسي [ت٥٤٤هـ] :" اعلم أن من استخف بالقرآن أو بالمصحف أو بشيء منه أو سبهما أو جحده أو حرفاً منه أو كذب به أو بشيء منه أو كذب بشيء مما صرح به فيه من حكم أو خبر، أو

---

(١) سورة التوبة، من الآيتين ٦٥-٦٦.

(٢) ينظر: تيسير العزيز الحميد ٥٥٣.

(٣) ينظر: فتح المجيد ٧٢٢/٢.

أثبت ما نفاه أو نفى ما أثبته على علم منه بذلك، أو شك في شيء من ذلك فهو كافر عند أهل العلم بإجماع".[1]

وفصل بعض السلف الحكم فيمن قال لصبي: "لعن الله معلمك وما علمك، فإن قال: أردت سوء الأدب و لم أرد القرآن، فإنه يؤدب القائل، وإن أراد لعن المصحف فإنه يقتل".[2]

وقال الإمام النووي :" أجمع المسلمون على وجوب صيانة المصحف واحترامه، قال أصحابنا وغيرهم: ولو ألقاه مسلم – والعياذ بالله تعالى- في القاذورات صار الملقي كافراً، قالوا ويحرم توسده، بل توسد آحاد كتب العلم حرام".[3]

ومما نهي عنه السفر بالقرآن إلى بلاد العدو، اتباعاً لسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وحذراً مما نهى عنه، ففي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما :" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو"،[4] وجاء في رواية " مخافة أن يناله العدو"،[5] وبهذا كتب عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار[6] :" وقد أفاد حديث ابن عمر السابق أن علة النهي مخافة امتهان القرآن والنيل منه إذا وقع بأيديهم، خلافاً لما هو الواجب تجاهه من التعظيم والإجلال، فإذا ضمن الاحترام وحيز عن الامتهان فلا بأس في السفر به إلى بلاد العدو.

---

(١) ينظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١١٠١/٢.

(٢) ينظر: التبيان ١٣١- ١٣٢.

(٣) ينظر: التبيان ١٥٠.

(٤) رواه البخاري في صحيحه – كتاب الجهاد- باب السفر بالمصاحف إلى أرض العدو ٢٣٨/٦ برقم٢٩٩٠، وو رواه مسلم في صحيحه –كتاب الإمارة- باب النهي أن يسافر بالمصحف إلى أرض الكفار إذا خيف وقوعه بأيديهم ١٣/١٣.

(٥) هذه الرواية في صحيح مسلم ، ينظر: ما سبق.

(٦) رواه عبد الرزاق في المصنف ٢١٢/٥

قال الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر [ت ٤٦٣هـ] :" أجمع الفقهاء ألا يسافر بالمصحف إلى أرض العدو في السرايا والعسكر الصغير المخوف عليه، واختلفوا في جواز ذلك في العسكر الكبير المأمون عليه، فمنع مالك أيضاً مطلقاً وفصل أبو حنيفة، وأدار الشافعية الكراهة مع الخوف وجوداً وعدماً، وقال بعضهم كالمالكية".(١)

وقال النووي :" فيه النهي عن المسافرة بالمصحف إلى أرض الكفار للعلة المذكورة في الحديث، وهو خوف أن ينالوه فينتهكوا حرمته، فإن أمنت هذه العلة بأن يدخل في جيش المسلمين الظاهرين عليهم فلا كراهة ولا منع منه حينئذ لعدم العلة، وهذا هو الصحيح، وبه قال أبو حنيفة والبخاري وآخرون".(٢)

المبحث الثاني: اهتمامهم بحفظ القرآن والإكثار من تلاوته :

جاءت الأدلة من الكتاب والسنة حاثة على تلاوة القرآن الكريم، والترغيب في الإكثار من تلاوته والاهتمام بحفظه ورعاية هذا الحفظ ومتابعته خشية عليه من التلفت والنسيان، والثناء على أهله.

فقد أمر الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم، والخطاب له ولأمته، قال تعالى: ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ ﴾ (٣)، وقال تعالى:﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾(٤)، وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ

---

(١) ينظر: فتح الباري ٢٣٩/٦، فتح البر في الترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبد البر ٥٧/١١-٥٨.

(٢) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم ١٣/١٣.

(٣) سورة الكهف، من الآية ٢٧.

(٤) سورة العنكبوت، من الآية ٤٥.

﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا ٱلْقُرْءَانَ ﴾[1]، وقد امتثل نبينا صلى الله عليه وسلم أمر ربه له بالتلاوة والترتيل بقوله :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً ﴾[2].

قال علاء الدين علي بن محمد البغدادي الشهير بالخازن [ت٧٢٥ هـ]:" إن الله تعالى لما أمر بقيام الليل أتبعه بترتيل القرآن حتى يتمكن المصلي من حضور القلب والتأمل والفكر في حقائق الآيات ومعانيها، فعند الوصول إلى ذكر الله تعالى يستشعر بقلبه عظمة المذكور وجلاله، وعند ذكر الوعد والوعيد يحصل الرجاء والخوف، وعند ذكر القصص والأمثال يحصل الاعتبار، فيستنير القلب عند ذلك بنور المعرفة"[3]، وفي صحيح مسلم من حديث سعد بن هشام أنه سأل عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت له:" ألست تقرأ هذه السورة **﴿يا أيها المزمل﴾**؟ قلت: بلى، قالت: فإن الله عز وجل افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حولاً، وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهراً في السماء، حتى أنزل الله في آخر هذه السورة التخفيف، فصار قيام الليل تطوعاً بعد فريضة"[4].

---

(١) سورة النمل ، الآيتان ٩١-٩٢.

(٢) سورة المزمل: الآيات ١-٤.

(٣) تفسير الخازن ١٦٥/٧.

(٤) رواه مسلم في صحيحه – كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب صلاة الليل والوتر ٢٦/٦.

وأرجى آية جاءت في فضل تلاوة القرآن وبيان جزيل ثواب أهلها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ۝ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ﴾[1]، قال قتادة:" كان مطرف بن عبدالله يقول: هذه آية القراء"[2]، فقراءة القرآن ولو من غير فهم له أجر وثواب من الله عز وجل، ويتضاعف هذا الأجر ويزداد كلما تيسر الفهم وازداد العلم به، وكلما قرأ القارئ قراءة تدبر وتفهم، فالآية فيها إشادة بالذين يداومون على تلاوة القرآن ويعملون بمقتضاه، ووعد لهم من الله عز وجل بأنه سيوفيهم جزاء أعمالهم وثواب ما فعلوا من الصالحات، ويزيدهم فوق أجورهم من فضله وإنعامه وإحسانه، والآية أيضاً لم تربط التلاوة بأي درجة من درجات الفهم والعلم للآيات، ولكنها ربطت التلاوة بالصلاة والإنفاق السري والعلني، وتلك دعوة إلى تطبيق ما في القرآن الكريم.

ولن يتسنى له ذلك حتى يتفهم آي الذكر الحكيم ويعتني بفقه أحكامها، ومعرفة معانيها بالنظر في كتب أهل العلم وسؤال أهل الذكر.

وتلاوته والحالة هذه مثاب مأجور عليها بإذن الله عز وجل، وهذا من فضل الله تعالى وعموم رحمته بعباده وسماحة هذا الدين وشمول طاعاته وقربه لأهله، فلا يحرم أحد الخير والعمل الصالح، والناس في هذا درجات، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، إذ لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم:" الماهر في القرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي

---

(١) سورة فاطر، الآيتان ٢٩-٣٠ .

(٢) رواه الطبري في تفسير، ٢١/٨٧، وانظر: الدر المنثور ٧/٢٣.

يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران" رواه البخاري ومسلم[1]، هذا لفظه من حديث عائشة رضي الله عنها، ولفظ البخاري :" مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرأ القرآن وهو يتعاهده وهو عليه شديد فله أجران".

وفي بيان أحوال الناس وتفاوت مراتبهم ومنازلهم مع القرآن روى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر" رواه البخاري ومسلم.[2]

وفي فضل تلاوة القرآن جاءت الأحاديث النبوية الكثيرة منها:عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:"اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه"، الحديث رواه مسلم[3]، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (ألم) حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف" رواه الترمذي.[4]

---

(١) رواه البخاري في صحيحه – كتاب التفسير- باب تفسير سورة عبس ٦٩١/٨ برقم ٤٩٣٧، ومسلم في صحيحه –كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب فضيلة حافظ القرآن ٨٤/٦.

(٢) رواه البخاري – كتاب فضائل القرآن- باب فضل القرآن على سائر الكلام ٦٦/٩ برقم ٥٠٢٠ ومسلم – كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب فضيلة حافظ القرآن ٨٣/٦-٨٤ واللفظ له.

(٣) جزء من حديث رواه مسلم – كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة ٩٠/٦.

(٤) رواه الترمذي في سننه – كتاب فضائل القرآن – باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر ١٧٥/٥، برقم ٢٩١٠ وقال:"حسن صحيح " وصححه الألباني في صحيح الجامع ١١٠٤/٢ برقم ٦٤٦٩.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب" رواه أحمد والترمذي[1]، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن مترلتك عند آخر آية تقرؤها" رواه أحمد وأبو داود والترمذي.[2]

وقد ذكر بعض أهل العلم حكماً سامية وراء انفراد القرآن الكريم بخاصية الأجر لمجرد التلاوة، من أبرزها:

١- توفير عامل مهم من عوامل المحافظة على القرآن وبقائه مصوناً من التغيير والتبديل الذين أصابا كتب الله من قبل، ذلك أن هذا الأجر العظيم الذي وعده الله من يتلو كتابه العزيز ولو غير متفهم لمعانيه من شأنه أن يحبب الناس في قراءة القران ويدفعهم إلى الإكثار منها، ويحركهم إلى استظهاره وحفظه، ولا ريب أن انتشار القراءة والقراء والحفاظ يجعل القرآن كثير الدوران على الألسنة، واضح المعالم في جميع الأوساط والطبقات، وهنا لا يجرؤ أحد على تغيير شيء فيه، وإلا لقي أشد العنت من عارفيه، كما حدث لبعض من حاولوا هذا الإجرام من أعداء الإسلام.

٢- إيجاد وحدة للمسلمين لغوية، تعزز وحدهم الدينية، وتيسر وسائل التفاهم والتعاون فيما بينهم، فتقوى بذلك صفوفهم، وتعظم شوكتهم

---

(١) رواه أحمد في المسند ٢٢٣/١، والترمذي في سننه – كتاب فضائل القرآن – باب ١٨ ، ١٧٧/٥ برقم ٢٩١٣ وقال: "حديث حسن صحيح"، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع ٦٥/٢ برقم ١٥٢٤

(٢) رواه أحمد في المسند ١٩٢/٢، وأبو داود في سننه – كتاب الصلاة- باب استحباب الترتيل في القراءة ٧٣/٢ برقم ١٤٦٤، والترمذي في سننه – كتاب فضائل القرآن – باب ١٨ برقم ٢٩١٤ وقال "حديث حسن صحيح"، وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٣٤٩/٢ برقم ٨١٢٢.

وتعلوا كلمتهم، وتلك سياسة نجحت نجاحاً باهراً، بحيث انضوى تحت اللسان العربي أمم كثيرة مختلفة اللغات، ونبغ منهم نابغون سبقوا كثيراً من العرب في علوم القرآن وعلوم لغة القرآن.

٣- استدراج القارئ إلى التدبر والاهتداء بهدي القرآن عن طريق هذا الترغيب المشوق في تلاوته وبواسطة هذا الأسلوب الحكيم، فإن من يقرأ القرآن في يومه وهو غافل عن معانيه يقرؤه في غده وهو ذاكر لها، ومن قرأه في غده وهو ذاكر لها دفعه ذلك إلى العمل بهديها، وهكذا ينتقل القارئ من درجة إلى درجة أرقى منها.[١]

قلت: يضاف إلى هذا ما ذكرته آنفاً وهو أن التعبد بتلاوته من أدلة رحمة الله بعباده وجوده وإحسانه إليهم، وهو كذلك من صور سماحة هذا الدين وشمول عباداته لأهله، فلا يحرم أحد طاعة أو قربه، والناس في هذا درجات، والمحروم من حرم خير الله عز وجل، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، وهو ذو الفضل العظيم.

ومن أجل هذه النصوص وغيرها اجتهد السلف رحمهم الله تعالى في الإكثار من تلاوة القرآن والعناية بحفظه، اغتناماً للأجر وإحرازاً لهذه الفضائل، حباً لكلام الله عز وجل وأنساً وتلذذاً بتلاوته، وكان هذا الأمر مشهوراً بينهم، يقومون به ويؤدونه كما طلب منهم، لا يتهاونون به، يحكي ذلك عنهم الإمام عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي [ت ١٥٧هـ] فيقول:" كان يقال: خمس كان عليها أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والتابعون بإحسان: لزوم الجماعة واتباع السنة وعمارة المسجد وتلاوة القرآن والجهاد في سبيل الله"[٢].

---

(١) ينظر: مناهل العرفان ٢/١٣٠ بتصرف يسير.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٦/١٤٢.

ومن أشهر من عرف عنه ذلك من الصحابة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكان إذا قيل له في ذلك قال :" لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام الله عز وجل"[1]، ومن الصحابة المكثرين من تلاوة القرآن المحافظين على حزبهم منه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما [ت٦٥ هـ] ففي الصحيحين من حديثه رضي الله عنه أنه كان يصوم الدهر ويقرأ القرآن كل ليلة، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال له:"ألم أخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة؟ فقلت: بلى يا نبي الله، ولم أرد بذلك إلا الخير، قال: فإن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام، قلت يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك، قال: فإن لزوجك عليك حقاً ولزورك عليك حقاً ولجسدك عليك حقاً، قال: فصم صوم داود نبي الله عليه السلام، فإنه كان أعبد الناس، قال قلت: يا نبي الله وما صوم داود؟ قال: كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، قال : واقرأ في القرآن في كل شهر، قلت : يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك، قال: فاقرأه في كل عشرين، قال قلت: يا نبي الله إني أطيق أفضل ذلك من ذلك، قال: فاقرأه في كل عشر، قال قلت: يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك، قال: فاقرأه في كل سبع ولا تزد على ذلك، فإن لزوجك عليك حقاً ولزورك عليك حقاً ولجسدك عليك حقاً، قال: فشددت فشدد علي، قال: وقال لي النبي صلى الله عليه وسلم: إنك لا تدري لعلك يطول بك عمر، قال : فصرت إلى الذي قال لي النبي صلى الله عليه وسلم، فلما كبرت وددت أني كنت قبلت رخصة نبي

(١) رواه أحمد في كتاب الزهد ص١٨٨.

الله صلى الله عليه وسلم"[1]، لأنه كان يداوم على ما اعتاده مـــن الخـــير، و لم يرغب في تركه، وفي رواية أنه تنزل معه فقال:" اقرأه في ثلاث"[2] وفي روايـــة قال:" لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث" .[3]

وكانوا رحمهم الله تعالى يجدون في تلاوة كتاب الله عز وجل الراحة والطمأنينة والأنس ولذة المناجاة وغير ذلك من المعاني التي تعجز العبارة عن وصفها، فهو كتاب لا يمل قارئه ولا يسأم سامعه، أزال الله سبحانه وتعالى عن قارئه وسامعه بإخلاص وصدق إيمان كل ملل وسآمة، تيسيراً لقراءته وإقبالاً بالقلوب والآذان عليـــه، قال تعال: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[4]، ومصداق ذلك أن المسلم لا يفتأ يقرأ القرآن منذ صغره وفي شبابه وكهولته يكرره ويردده، يحفظه ويتعاهده، ويزداد يوماً بعد يوم – بعد توفيق الله وهدايته- إقبالاً على تلاوته وتدبراً لآياته، حباً له وأنســـاً به ولذة بمناجاة الله به.

وقد عد علماؤنا هذه الخاصية للقرآن الكريم، فدونوها في مؤلفاتهم وعدوها من وجوه إعجازه، قال شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري [ت٧٣٣هـ] "

---

(١) رواه البخاري في صحيحه -كتاب فضائل القرآن - باب في كم يقرأ القرآن ٩٤/٩ برقم ٥٠٥٢، ومسلم في صحيحه – كتاب الصوم – باب النهي عن صوم الدهر ٤٢/٨ واللفظ له.

(٢) رواه أبو داود في سننه – كتاب الصلاة- باب في كم يقرا القرآن ٥٥/٢ برقم ١٣٩١.

(٣) رواه أحمد في المسند ١٦٥/٢، ١٨٩، وأبو داود في سننه – كتاب الصلاة- باب تحزيب القرآن ٥٦/٢ برقم ١٣٩٤، والترمذي في سننه – كتاب القراءات-باب١٣ برقم ٢٩٤٩، وابن ماجه في سننه -كتاب ما جاء في قيام شهر رمضان – باب في كم يستحب ختم القرآن ٢٢٥/١ برقم ١٣٤٧ وصححه الألباني.

(٤) سورة القمر، الآية ١٧.

الوجه السابع: - أي من وجوه إعجازه- أن قارئه لا يمل قراءته، وسامعه لا تمجه مسامعه، بل الإكباب على تلاوته وترديده يزيده حلاوة ومحبة، لا يزال غضاً طرياً، وغيره من الكلام ولو بلغ ما عساه أن يبلغ من البلاغة والفصاحة يمل من الترديد ويُسْأم إذا أعيد، وكذلك غيره من الكتب لا يوجد فيها ما فيه من ذلك" (١)، وقال جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي [ت٩١١هـ] معدداً وجوه إعجازه : " إن قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه، بل الإكباب على تلاوته يزيده حلاوة، وترديده يوجب له محبة، وغيره من الكلام يعادى إذا أعيد ويمل مع الترديد، ولهذا وصف صلى الله عليه وسلم القرآن بأنه لا يخلق على كثرة الرد" (٢) (٣).

وهذا سر قول عثمان بن عفان رضي الله عنه :" لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام الله عز وجل" وهو السبب الذي من أجله أقبلوا على تلاوته وأكثروا من ذلك وحافظوا على حزبهم منه، يقول الحسن بن أبي الحسن البصري:" تفقدوا الحلاوة في ثلاث: الصلاة والقرآن والدعاء، فإن وجدتموها فاحفظوا واحمدوا الله على ذلك، وإن لم تجدوها فاعلموا أن أبواب الخير عليكم مغلقة"(٤).

---

(١) نهاية الأرب ، ١٨/٣٠٦-٣٠٧ .

(٢) الاتقان ، ٢/ ١٠١٧.

(٣) انظر: خصائص القرآن الكريم ١٦٣-١٦٤ ، والجملة الأخيرة جزء من حديث رواه الترمذي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعاً- أبواب ثواب القرآن – باب ما جاء في فضل القرآن ٥/١٧٢-١٧٣ برقم ٢٩٠٦ وقال:" هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول، وفي الحارث -يعني الأعور- مقال" وقال الحافظ ابن حجر في التقريب ١٤٦ عنه " كذبه الشعبي في رأيه ورمي بالرفض وفي حديثه ضعف".

(٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٥/٤٤٧ برقم ٧٢٢٦.

وكانوا في هذا وغيره متمسكين بالسنة مقتدين بالأسوة القدوة عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، فلا يتجاوزون ما أرشدهم إليه ولا يخالفون ما أمرهم به وحَدّه لهم في مقدار ما يختم فيه القرآن، ويرشدون إلى ذلك ويدعون إلى الأخذ بالسنة وعدم الإثقال والتشديد على النفس، فالخير كله في اتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم، يقول أبو العالية الرياحي: " كنا عبيداً مملوكين، منا من يؤدي الضرائب، ومنا من يخدم أهله، فكنا نختم كل ليلة، فشق ذلك علينا، فجعلنا نختم كل ليلتين مرة، فشق ذلك علينا فجعلنا نختم كل ثلاث ليالٍ مرة، فشق علينا حتى شكا بعضنا إلى بعض، فلقينا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعلمونا أن نختم كل جمعة، أو قال: كل سبع، فصلينا ونمنا ولم يشق علينا".[1]

قال الإمام النووي:" ينبغي أن يحافظ على تلاوته ويكثر منها، وكان السلف رضي الله عنهم لهم عادات مختلفة في قدر ما يختمون فيه، فروى ابن أبي داود عن بعض السلف أنهم كانوا يختمون في كل شهرين ختمة واحدة، وعن بعضهم في كل شهر ختمة، وعن بعضهم في كل عشر ليالٍ ختمة، وعن بعضهم في كل ثمان ليالٍ ختمة، وعن الأكثرين في كل سبع ليالٍ ... وعن كثيرين في كل ثلاث ليالٍ... والاختيار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص، فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر ما يحصل له كمال فهم ما يقرؤه، وكذا من كان مشغولاً بنشر العلم أو غيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة، فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات ١١٣/٧، وانظر: سير أعلام النبلاء ٢٠٩/٤.

إخلال بما هو مرصد له، وإن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حد الملل والهذرمة"[(١)].

وقد كان للسلف رحمهم الله تعالى حزب من القرآن قل أم كثـــر، لا يخلون به ولا يتكاسلون في القيام به ويحاسبون أنفسهم على ذلك، فقد جاء في سيرة عروة بن الزبير [ت٩٤هـ] أنه كان يقرأ ربع القرآن كل يوم ويقوم به ليله، فما تركه إلا ليلة قطعت رجله، ثم عاود حزبه من الليلة المقبلة".[(٢)]

يقول أبو داود الجفري:"دخلت على كرز بن وبرة الحارثي الكوفي في بيته فإذا هو يبكي، فقلت : ما يبكيك؟ قال: إن بابي مغلق وإن ستري لمسبل، ومنعت حزبي أن أقرأه البارحة، وما هو إلا من ذنب أحدثته"[(٣)]، وهذا مـــن دقيق محاسبته نفسه وحرصه على الخير، وحسرته أن فاته حزبه من القرآن حين لم يقرأه من الليل.

كما كان بينهم تعاون على هذا العمل الصالح وتواصٍ دؤوب على القيام به، قال تعالى:﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾[(٤)]، فكانوا يجتمعون على تلاوة القرآن ويتدارسونه فيما بينهم، اغتناماً للأجر وتحصيلاً للفضل، لما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة،

---

(١) التبيان ٤٦.

(٢) ينظر : حلية الأولياء ١٧٨/٢، سير أعلام النبلاء ٤٢٦/٤.

(٣) ينظر: حلية الأولياء ٧٩/٥.

(٤) سورة المائدة ، من الآية ٢.

وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده". رواه مسلم[1]، وكان عمر رضي الله عنه إذا جلس مع أصحابه في المسجد نادى أبا موسى الأشعري رضي الله عنه فقال:"يا عبدالله بن قيس ذكرنا ربنا فيقرأ".[2]

ومن وصاياهم بتلاوة القرآن واستغلال زمن النشاط والقوة في ذلك قول أبي سعيد سعد بن مالك الخدري رضي الله عنه [ت ٦٤هـ] :" عليك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء ....، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنه روحك في أهل السماء وذكرك في أهل الأرض، وعليك بالصمت إلا في حق فإنك تغلب الشيطان" [3]، وقال عبد الله بن عون الهلالي [ت٢٣٢هـ]:" أحب لكم يا معشر إخواني ثلاثاً: هذا القرآن تتلونه آناء الليل والنهار، ولزوم الجماعة، والكف عن أعراض المسلمين"[4]، وعن محمد بن سوقة قال : قال لنا عطاء بن رباح:" يا ابن أخي إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام، وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله أن يقرأ أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو تنطق في حاجتك، في معيشتك التي لابد لك منها، أتنكرون ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴾[5] وقوله: ﴿ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[6] أما يستحي

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه – كتاب الذكر- باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ٢١/١٧.

(٢) ينظر: حلية الأولياء ٢٥٨/١، سير أعلام النبلاء ٣٩١/٢.

(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء ١٧٠/٣.

(٤) ينظر: حلية الأولياء ٤١/٣.

(٥) سورة الانفطار، الآيتان ١٠-١١.

(٦) سورة (ق) ، من الآيتين ١٧-١٨.

أحدكم لو نشرت عليه صحيفته التي ملأها صدر نهاره، وليس فيها شيء من أمر آخرته"[1] .

وقال أبو إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي [ت ١٢٩هـ] :"يا معشر الشباب اغتنموا –يعني:قوتكم ونشاطكم- قلما مرت بي ليلة إلا وأنا أقرأ ألف آية، وإني لأقرأ البقرة في ركعة، وإني لأصوم الأشهر الحرم، وثلاثة أيام من كل شهر والاثنين والخميس"[2]، وإخباره عن عمله ليس من باب السمعة وطلب الثناء والتمدح بين الناس –إن شاء الله- إنما أراد تنشيط السامعين وحفز هممهم للمبادرة إلى الأعمال الصالحة، واستغلال نشاطهم وقوتهم، كما قال عليه الصلاة والسلام :" بادروا بالأعمال، فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا" رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه [3]، وقال عليه الصلاة والسلام:"بادروا بالأعمال سبعاً، هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غنى مطغياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مُفَنِّداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر" رواه الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.[4]

---

(١) ينظر: حلية الأولياء ٣/٣١٤- ٣١٥، سير أعلام النبلاء ٥/٨٦.

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء ٥/٣٩٧.

(٣) رواه مسلم في صحيحه –كتاب الإيمان- باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن ١٣٣/٢.

(٤) رواه الترمذي في سننه –كتاب الزهد- باب ما جاء في المبادرة بالعمل ٥٥٢/٤برقم ٢٣٠٦، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير ٣/٣ برقم ٢٣١٤.

ولم تكن عنايتهم رحمهم الله تعالى مقتصرة على تلاوة القرآن من المصحف، بل كانوا يتسابقون إلى حفظه وضبطه وإتقانه، وقد يسر الله عز وجل قراءته وحفظه لمن أقبل عليه ورغب في اغتنام ثواب تلاوته وحفظه، قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[1]، قال ابن عباس: "لولا أن الله يسره على لسان الآدميين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله عز وجل"،[2] وقال مجاهد:" يسرنا: هونا قراءته"[3]، وما أكثر صور هذا التيسير لتلاوته وحفظه، وهذا من وجوه إعجازه، يقول الإمام علي ابن محمد الماوردي [ت ٤٥٠هـ] :" الوجه السادس عشر من إعجازه: تيسيره على جميع الألسنة، حتى حفظه الأعجمي الأبكم، ودار به لسان القبطي الألكن، ولا يحفظ غيره من الكتب كحفظه، ولا تجري به ألسنة البكم كجريها به، وما ذاك إلا بخصائص إلهية، فضله بها على سائر كتبه"[4]، وقال النويري معدداً وجوه إعجاز القرآن:" الوجه الثامن: أن الله تعالى يسر حفظه لمتعلميه وقربه على متحفظيه، قال الله تعالى:﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾، ولذلك فإن سائر الأمم لا يحفظ كتبها الواحد منها، وإن لازم قراءتها وداوم مدارستها، لم يسمع بذلك عن أحد منهم، والقرآن قد يسر الله تعالى

---

(١) سورة القمر: الآية ١٧.

(٢) ينظر: الدر المنثور ٦٧٦/٧.

(٣) رواه البخاري في صحيحه – كتاب التفسير- سورة القمر ٦١٧/٨، والطبري في تفسيره ٥٧/٢٧

(٤) أعلام النبوة- أبو الحسن الماوردي ص٦٩.

حفظه على الغلمان في المدة القريبة والنسوان، وقد رأينا من حفظه على كبر سنه، وهذا من معجزاته"[1].

وفي فضيلة حفظ القرآن ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب" رواه الترمذي [2]، ولم يترك عليه الصلاة والسلام أمراً فيه حث على حفظ القرآن وتشجيع عليه وترغيب فيه إلا سلكه، فكان يفاضل بين أصحابه على قدر حفظهم القرآن، فيعقد الراية لأكثرهم حفظاً للقرآن، وإذا بعث بعثاً أو أرسل وفداً جعل إمامهم في صلاتهم أكثرهم قراءة للقرآن، ويقدم في لحد القبر أكثرهم أخذاً له، ويزوج الرجل المرأة على أن يكون مهرها تعليمه إياها القرآن إلى غير ذلك، فتوافرت الدواعي لحفظ القرآن ونشط الصحابة رضي الله عنهم لحفظه، حسب ما تيسر لهم منه، وقد حفظه عدد كبير منهم، وليس أدل على ذلك من أنه قتل في معركة اليمامة أكثر من سبعين قارئاً، فكم كان عدد القراء في هذا الجيش؟ وكم كان عددهم في جيوش المسلمين كلها في بلاد الإسلام آنذاك[3] ؟

ومن أمثلة الحفظ عند الصحابة ما ثبت في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:" حفظت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة وسبعين سورة"[4]، وعند أحمد عن معد يكرب قال:" أتينا عبد الله فسألناه أن يقرأ طسم المائتين، فقال: ما هي معي، ولكن عليكم مَنْ أخذها من

---

(١) نهاية الأرب ٣٠٧/١٨.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) ينظر: خصائص القرآن الكريم ١٦٧-١٦٨ بتصرف.

(٤) سيأتي تخريجه.

رسول الله صلى الله عليه وسلم خباب بن الأرت، قال: فأتينا خباب بن الأرت فقرأها علينا"[١]، وبالجملة فقد كان اعتمادهم على الحفظ لقلة الكتابة وعدم تيسر وسائلها.

وقد حث عليه الصلاة السلام على تعاهد ما حفظه قارئ القرآن ومراجعة ما جمعه، لئلا يتفلت عليه ويضيع ما حفظه، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة، إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت" رواه البخاري ومسلم[٢]، والمراد بصاحب القرآن: من أَلِفَ تلاوته نظراً أو عن ظهر قلب حفظاً، فإن من داوم على ذلك ذل له لسانه، وسهلت عليه قراءته، ودام له إتقانه، فإن هجره ثقلت عليه القراءة وشق عليه استذكار ما حفظه، وشبه الرسول عليه والصلاة والسلام استمرار التلاوة ومعاهدة الحفظ بربط البعير الذي يخشى منه الشرود، فما دام التعاهد موجوداً فالحفظ موجود، كما أن البعير مادام مشدوداً بالعقال فهو محفوظ، وخص الإبل بالذكر لأنها أشد الحيوان الإنسي نفوراً، وفي تحصيلها بعد استمكان نفورها صعوبة.

وفي حديث عبد الله بن مسعود قال صلى الله عليه وسلم :" بئس ما لأحدهم أن يقول نسيت آية كيت وكيت، بل نُسّي، واستذكروا القرآن فإنه أشد تفصياً من صدور الرجال من النعم" رواه البخاري، وسبب الذم ما فيه من الإشعار بعدم الاعتناء بالقرآن، إذ لا يقع النسيان إلا بترك التعاهد وكثرة الغفلة

---

(١) رواه أحمد في المسند ٣٤/٦ ، برقم ٣٩٨٠، وقال محققه أحمد شاكر :"إسناده صحيح".

(٢) رواه البخاري في صحيحه – كتاب فضائل القرآن – باب استذكار القرآن وتعاهده، ٧٩/٩ برقم ٥٠٣١، ومسلم في صحيحه- كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب فضائل القرآن والأمر بتعاهده ٧٥/٦.

فلو تعاهده بتلاوته والقيام به في الصلاة لدام حفظه وتذكره، فإذا قال الإنسان: نسيت آية كذا، كأنه شهد على نفسه بالتفريط وعدم اهتمامه وعنايتـــه بمـــا حفظه من القرآن، وفي الحديث حث على المواظبة على التلاوة وتذكير للنفس بمداومة قراءته وعدم التقصير في تعاهده واستذكاره، وإلا تفلت من صـــاحبه أشد من تفلت الإبل النافرة التي تطلب التفلت ما أمكنها من عقالها.(١)

وما زالت العناية بحفظ القرآن مستمرة في عهد التابعين ومن بعـــدهم، وممن اشتهر بذلك الإمام المفسر قتادة بن دعامة السدوسي، قال مرة لسعيد بن المسيب:" خذ المصحف فأمسك علي، قال: فقرأ سورة البقرة فما أسقط منها واواً ولا ألفاً ولا حرفاً، ثم قال : يا أبا النضر أحكمتُ؟ قال: نعم . قال: لأنا لصحيفة جابر أحفظ مني لسورة البقرة، وإنما قدمت عليه مرة واحـــدة" (٢)، ويحدث عن نفسه فيقول: "ما سمعت أذناي شيئاً قط إلا وعاه قلبي"(٣).

ولذلك يقول بكر بن عبد الله المزني [ت ١٠٦هـــ] :" من أراد أن ينظر إلى أحفظ أهل زمانه فلينظر إلى قتادة، فما أدركنا الذي هو أحفظ منه" (٤)، وقال محمد بن سيرين :" قتادة أحفظ الناس، أو من أحفظ الناس ".(٥)

وممن اشتهر بقوة الحفظ والإتقان سليمان بن مهران الأعمش، يقـــول أبو بكر شعبة بن عباس:"كان الأعمش يعرض القـــرآن، فيمســـكون عليـــه

---

(١) ينظر: فتح الباري ، ٩/٧٩-٨٠.

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء ٥/٢٧٢، تهذيب التهذيب ٨/٣٥٣.

(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء ٥/٢٧٦، تهذيب التهذيب ٨/٣٥٤.

(٤) ينظر: سير أعلام النبلاء ٥/٢٧١-٢٧٢، تهذيب التهذيب ٨/ ٣٥٣.

(٥) ينظر: سير أعلام النبلاء ٥/٢٧١، تهذيب التهذيب ٨/٣٥٣.

المصاحف، فلا يخطئ في حرف"[1]، ولذلك قال سفيان بن عيينة :" كان الأعمش أقرأهم لكتاب الله وأحفظهم للحديث، وأعلمهم بالفرائض".[2]

ومن المشهورين بقوة الحفظ واستحضار الآي أبو سهل أحمد القطان [ت ٣٥٠هـ] يقول أبو عبد الله بن بشر القطان:" ما رأيت رجلاً أحسن انتزاعاً لما أراد من آي القرآن من أبي سهل بن زياد، وكان جارنا، وكان يديم صلاة الليل وتلاوة القرآن، فلكثرة درسه صار القرآن كأنه بين عينيه، ينتزع منه ما شاء من غير تعب"[3].

وكانوا مع حرصهم على ضبط حفظهم القرآن وإتقانه يحاسبون أنفسهم ويلومونها على التقصير والخطأ عند قراءته عن ظهر قلب، ويعزون سبب ذلك إلى ذنوبهم وخطاياهم، ومن عقوبة الذنب حرمان الطاعة وعدم إتقان العبادة، [4] قال جعفر بن سليمان الضبيعي:" كان مالك بن دينارمن أحفظ الناس للقرآن، وكان يقرأ علينا كل يوم جزءاً من القرآن حتى ختم، فإن أسقط حرفاً قال: بذنب مني، وما الله بظلام للعبيد".

وقد اختلف السلف في أيهما أفضل القراءة عن ظهر قلب أم القراءة في المصحف، والاختيار هو الجمع بين ما روي عنهم في ذلك، قال الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير [ت ٧٧٤هـ] بعد أن ذكر جملة من الآثار المروية عن الصحابة الآمرة بالنظر في المصحف:" فهذه الآثار تدل على أن هذا أمر مطلوب، لئلا يعطل المصحف فلا يقرأ منه، ولعله قد يقع لبعض الحفظة

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء ٢٣٥/٦.

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء ٢٢٨/٦.

(٣) ينظر: تاريخ بغداد ٤٥/٥-٤٦، سير أعلام النبلاء ٥٢١/١٥.

(٤) ينظر: ما ذكره ابن القيم في الجواب الكافي ١٠٤-١٠٦.

نسيان فيستذكر منه، أو تحريف كلمة أو تقديم أو تـأخير فالاستثبات أولى، والرجوع إلى المصحف أثبت من أفواه الرجال، فأما تلقين القرآن فمن فم الملقن أحسن، لأن الكتابة لا تدل على الأداء.

وقال بعض العلماء: المدار في هذه المسألة على الخشوع، فـإن كـان الخشوع أكثر عند القراءة عن ظهر قلب فهو الأفضل، وإن كان عند النظر في المصحف أكثر فهو أفضل، فإن استويا فالقراءة نظراً أولى، لأنها أثبت وتمتـاز بالنظر إلى المصحف"[1]، وقال النووي :" والظاهر أن كلام السلف وفعلـهم محمول على هذا التفصيل" [2].

وقال الإمام القرطبي:" قال العلماء: فائدة القراءة من الحفظ قوة الحفظ، وثبات الذكر، وهي أمكن للتفكر فيه، وفائدة القراءة من المصحف الاستثبات، لا يخلط بزيادة حرف ولا إسقاط حرف، أو تقديم آية أو تأخيرها، وأيضاً فإنه يعطي عينية حظها منه، فإن العين تؤدي للنفس، وبين النفس والصدر حجاب، والقرآن في الصدر فإذا قرأه عن ظهر قلبه فإنه أذنه فيؤدي إلى النفس، وإذا نظر في الخط كانت العين والأذن قد اشتركتا في الأداء، وذلك أوفى للأداء، وكانت العين قد أخذت حظها كالأذن، ويقضى حق المصحف، لأن المصحف لم يتخذ ليهمل، وله على الانفراد حق فلا يقرأ إلا على طهارة، ألا تـرى أن المحـدث منهي عن مسه، فكانت القراءة في المصحف أولى وأفضل".[3]

---

(١) ينظر: فضائل القرآن ٨٦-٨٧.

(٢) ينظر: التبيان ٧٨.

(٣) ينظر: التذكار في أفضل الأذكار ١١٦.

كما كان للسلف رحمهم الله تعالى عناية واجتهاد في اختيار أفضل الأوقات لقراءة القرآن، فأفضلها آخر الليل، مقروناً بالصلاة أو خارجها، فقد أثنى عز وجل على القائمين آخر الليل بالصلاة والدعاء وقراءة القرآن والذكر، قال الله تعالى:﴿ لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾[1]، وقال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۝ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[2]، كما أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقوم الليل بالقرآن، والأمر لأمته من بعده، قال تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾[3]، وقال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾[4] وأرشده إلى التوسط والاعتدال بين الجهر والمخافتة فقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾[5]، عن ابن عباس رضي الله عنهما في الآية قال:" نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم مختفٍ بمكة، كان إذا صلى

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١١٣.

(٢) سورة الذاريات ، الآيات ١٥-١٨.

(٣) سورة الإسراء ٧٩

(٤) سورة المزمل، الآيات ١-٤.

(٥) سورة الأسراء، من الآية ١١٠.

بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمع المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فقال الله تعالى لنبيه: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ ﴾ أي: بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن، ﴿ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ عن أصحابك فلا تسمعهم، ﴿ وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً ﴾ يقول: بين الجهر والمخافتة" رواه البخاري ومسلم.[1]

ومما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضل قيام الليل بالصلاة وتلاوة القرآن والدعاء وغير ذلك قوله:" أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل"رواه مسلم[2]، وقال أيضا: " لا حسد إلا في اثنتين، رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار" رواه البخاري ومسلم[3]، وقال أيضاً: "يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول من يدعوني

---

(١) رواه البخاري في صحيحه -كتاب التفسير- باب " ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها" ٤٠٤/٨ برقم ٤٧٢٢، ومسلم في صحيحه – كتاب الصلاة – باب التوسط في القراءة في الصلاة الجهرية بين الجهر والإسرار إذا خاف من الجهر مفسدة ١٦٤/٤-١٦٥.

(٢) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه – كتاب الصوم – باب فضل صوم المحرم ٥٥/٨.

(٣) رواه البخاري في صحيحه – كتاب التوحيد – باب قول النبي صلى الله عليه وسلم :"رجل آتاه الله القرآن) ٥٠٢/١٣ برقم ٧٥٢٩، ومسلم في صحيحه -كتاب صلاة المسافرين وقصرها – باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه ٩٧/٦.

فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفر لي فأغفر له؟ " رواه البخاري ومسلم [1].

قال الإمام النووي:" وإنما رجحت صلاة الليل وقراءته لكونها أجمع للقلب وأبعد عن الشاغلات والملهيات والتصرف في الحاجات، وأصون من الرياء وغيره من المحبطات، مع ما جاء الشرع به من إيجاد الخيرات في الليل، فإن الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم كان ليلاً، وحديث " يترل ربكم كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يمضي شطر الليل، فيقول: هل من داع فأستجيب له؟" الحديث، وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" في الليل ساعة يستجيب الله فيها الدعاء كل ليلة ".[2]

واعلم أن فضيلة القيام بالليل والقراءة فيه تحصل بالقليل والكثير، وكلما كثر كان أفضل، إلا أن يستوعب الليل كله فإنه يكره الدوام عليه.[3] لذا كان من هدي السلف رحمهم الله قيام الليل وإحياؤه بأنواع القربات والطاعات بالقليل أوالكثير، مغتنمين تلك الفضائل العظيمة والأجور الجزيلة، متحلين بتلك النعوت الشريفة الموعود أهلها بالثواب الحسن الذي لا يعلم قدره وحقيقته إلا الله سبحانه، يحكي حالهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه

---

(١) رواه البخاري في صحيحه – كتاب الدعوات – باب الدعاء نصف الليل ١٢٩/١١ برقم ٦٣٢١ ورواه مسلم في صحيحه – كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب صلاة الليل ٣٦/٦ ، كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم في صحيحه – كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب صلاة الليل ٣٦/٦، عن جابر رضي الله عنه، ولفظه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً من الدنيا و الآخرة إلا أعطاه إياه، وذلك كل ليلة".

(٣) ينظر: التبيان ، ٥٢-٥٣.

فيقول:" لقد رأيت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما أرى اليوم شيئاً يشبههم، لقد كانوا يصبحون شعثاً صفراً غبراً، بين أعينهم أمثال ركب المعزى، قد باتوا لله سجداً وقياماً، يتلون كتاب الله، يراوحون بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا فذكروا الله مادوا كما تميد الشجرة في يوم الريح، وهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم، والله لكأن القوم باتوا غافلين".[١]

وأمثلة ذلك في سيرهم العطرة كثيرة،منها ما رواه مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي موسى:" لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة، لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود" [٢]، وعن الربيع بن أنس قال:" كان أبو بكر رضي الله عنه إذا صلى من الليل خفض صوته جداً، وكان عمر رضي الله عنه إذا صلى رفع صوته جداً، فقال عمر: يا أبا بكر لو رفعت من صوتك شيئاً، وقال أبو بكر: يا عمر لو خفضت صوتك شيئاً، فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه بأمرهما، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ الآية، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إليهما فقال:" يا أبا بكر ارفع من صوتك شيئاً، وقال لعمر: اخفض من صوتك شيئاً"[٣]، وفي رواية " فقيل لأبي بكر : لم تصنع

---

(١) حلية الأولياء ٧٦/١

(٢) رواه مسلم في صحيحه – كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن ٨٠/٦ ، ورواه البخاري مختصراً في صحيحه – كتاب فضائل القرآن – باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن ٩٢/٩ برقم ٥٠٤٨، قال النووي :" قال العلماء: المراد بالمزمار هنا الصوت الحسن، وأصل الزمر الغناء، وآل داود وهو داود نفسه، وآل فلان قد يطلق على نفسه، وكان داود عليه السلام حسن الصوت جداً" شرح النوي على صحيح مسلم ٨٠/٦.

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور، ٣٥٠/٥.

هذا؟ قال: أناجي ربي وقد علم حاجتي، وقيل لعمر: لم تصنع هذا؟ فقال: أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان، فلما نزلت ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ قيل لأبي بكر رضي الله عنه ارفع شيئاً، وقيل لعمر رضي الله عنه اخفض شيئاً"[١].

وقال عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه [ت ٦٠ هـ]:" ما تركت حزب سورة من القرآن من ليلتها منذ قرأت القرآن" [٢]، وجاء في سيرة الربيع ابن خثيم الكوفي [ت ٦١هـ]" أنه كان يقوم من الليل ما كتب له، فتناديه أمه: يا ربيع ألا تنام، فيقول: يا أمه من جن عليه الليل وهو يخاف البيات حق له أن ينام"[٣]، متذكراً قوله تعالى: ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴾[٤].

بل قد بلغوا -رحمهم الله تعالى- في هذا مبلغاً عظيماً، حين أحبوا قيام الليل بالصلاة وتلاوة القرآن، لما يجدون في ذلك من الأنس ولذة التلاوة وحلاوة المناجاة، واشتاقوا إلى قدومه، حيث يجدون فيه راحتهم وسعادتهم، ويسألون الله تعالى المزيد من فضله، وألا يحرمهم هذا الخير الذي وفقوا له وأعينوا عليه، وقد حرمه آخرون.

لما حضرت معاذ بن جبل الخزرجي الأنصاري [ت ١٨هـ] الوفاة قال:" اللهم إن كنت تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لكري

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ١٢٤/١٥، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣٥٠/٥.

(٢) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ٩٥.

(٣) ينظر: حلية الأولياء ١١٤/٢، سير أعلام النبلاء ٢٦٠/٤.

(٤) سورة الأعراف ، الآية ٤.

الأنهار ولا لغرس الشجر، ولكن لظمأ الهواجر، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر"[1]،وقال أبو زيد معضد العجلي:" لولا ظمأ الهواجر وطول ليل الشتاء ولذاذة التهجد بكتاب الله عز وجل ما باليت أن أكون يعسوبا"[2]، ويقول عمرو بن عتبة بن فرقد السلمي الكوفي -توفي في خلافة عثمان بن عفان-:" سألت الله ثلاثاً فأعطاني اثنتين وأنا أنتظر الثالثة، سألته أن يزهدني في الدنيا، فما أبالي ما أقبل منها وما أدبر، وسألته أن يقويني على الصلاة فرزقني منها، وسألته الشهادة فأنا أرجوها" [3]، وقد مر آنفاً دعاء أبي الحلال زرارة بن ربيعة العتكي لما كبر، حيث كان يدعو ربه " اللهم لا تسلبني القرآن" [4].

ومن صور حبهم قيام الليل بالقرآن وعدم الإخلال بجزء منه محافظتهم على ذلك في السفر، مع ما ينالهم فيه من التعب والمشقة، وبخاصة في تلك الأزمان، قال همام بن يحيى العوذي [ت ١٦٣هـ] : "ما رأيت قط أصبر على طول القيام والسهر من ثابت البناني [ت ١٢٧هـ] صحبناه مرة إلى مكة، فكنا إن نزلنا ليلاً فهو قائم يصلي، وإلا فمتى شئت أن تراه أو تحس به مستيقظاً ونحن نسير إما باكياً وإما تالياً"[5]، وقال أبو الطيب موسى بن يسار:" صحبت محمد بن واسع الأزدي البصري [ت ١٢٣هـ] من مكة إلى البصرة، فكان

---

(١) رواه الإمام أحمد في الزهد ص ٢٦٥.

(٢) رواه أبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن ص٦٠، وابن المبارك في الزهد والرقائق، ص٩٤.

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية ، ١٥٥/٤.

(٤) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١٠٥/٣.

(٥) ينظر: صفة الصفوة ٢٦٢/٣.

يصلي الليل في المحمل جالساً، يومئ برأسه إيماء، وكان يأمر الحادي يكون خلفه ويرفع صوته حتى لا يفطن له"[1].

وكانوا رحمهم الله تعالى يقضون حزبهم من القراءة بالليل في النهار إذا فاتهم فلم يقوموا بأدائه، محافظة على عملهم ومداومة عليه، امتثالاً لسنة النبي صلى الله عليه وسلم وتأسياً به، فقد روى مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل"[2].

يقول عبد الرحمن بن عبد القاري [ت سنة ٨٥ هـ]:"استأذنت على عمر بالهاجرة، فحبسني طويلاً، ثم أذن لي وقال: إني كنت في قضاء وردي"[3]، وقال: خيثمة بن عبد الرحمن الجعفي [ت ٨٠ هـ] : "دخلت على عبد الله ابن عمرو وهو يقرأ في المصحف، فقلت له، فقال: هذا جزئي الذي أقرأ به الليلة"[4]، وممن روي عنه المحافظة على تلاوة حزب من القرآن لا يخل بذلك الإمام عبد الله بن عون الهلالي، فإن لم يتيسر له أداؤه أو أبقى بعضه أتمه بالنهار، يقول بكار بن محمد السيريني :" كان له – أي لعبد الله بن عون- سُبُع يقرؤه كل ليلة، فإذا لم يقرأه أتمه بالنهار"[5]، ويحكي إبراهيم النخعي حالهم في المحافظة على حزبهم من القرآن وقضائه إذا لم يتيسر لهم أداؤه في وقته

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٣٤٦/٢.

(٢) رواه مسلم في صحيحه –كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب صلاة الليل ٢٩/٦.

(٣) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن، ص٩٣.

(٤) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن، ص٩٣.

(٥) ينظر: سير أعلام النبلاء ٣٧٠/٦.

فيقول:" كان أحدهم إذا بقي عليه من حزبه شيء فنشط قرأه بالنهار، أو قرأه من ليلة أخرى، قال: وربما زاد أحدهم" [1].

المبحث الثالث : عنايتهم بترتيل القرآن وتجويده وتحسين الصوت حال تلاوته :

جاء الأمر بترتيل القرآن الكريم والحث على تحسين الصوت حال تلاوته والترغيب في ذلك والثناء على المعتنين به القائمين بتحقيق معانيه وصفاته، وقد أبان السلف هذه المعاني وحققوها في تلاوتهم وامتثلوها في قراءتهم، ودعوا الناس إلى تطبيقها ومراعاتها، وحذروا من مخالفتها والإعراض عن هدي النبي صلى الله عليه وسلم وما أثر عنه في ذلك .

ففي الأمر بالترتيل قال تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً ﴾ [2] وفي فضل الترتيل والترغيب فيه والثناء على محققيه والقائمين به ما رواه عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها"،[3] قال ابن عباس: مبيناً معنى الترتيل في الآية السابقة " بينه تبيناً "[4] وروي نحوه

(١) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن، ص ٩٥.

(٢) سورة المزمل ، من الآية (٤) .

(٣) رواه أحمد في المسند ١٩٢/٢ واللفظ له ، وأبو داود في سننه -كتاب الصلاة - باب استحباب الترتيل في القراءة ٧٣/٢ برقم ١٤٦٤، والترمذي في جامعه - كتاب فضائل القرآن - باب ١٧٧/١٨٥/برقم ٢٩١٤ وقال" حديث حسن صحيح"، وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٣٤٩/٢برقم٨١٢٢ .

(٤) رواه الطبري في تفسيره ٨٠/٢٩ ، وانظر : الدر المنثور ٣١٣/٨ .

عن الحسن وقتادة،[1] وقال مجاهد: "بعضه على إثر بعض على تؤدة "، وقال أيضاً "ترسل فيه ترسلاً"[2]، وهذا كقوله تعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَـٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ ﴾[3] قال مجاهد: " على تؤدة "[4]، وقال سعيد بن جبير الأسدي مولاهم، [ت٩٥ هـ] " فسره تفسيراً"[5] .

فقد دلت هذه الأقوال على أن المراد بالترتيل التمهل والتؤدة حال التلاوة والترسل بإبانة الحروف وإعطائها حقها، فلا يهذه هذاً ولا يسرده سرداً، ولا يستعجل في قراءته.

وهكذا كان ترتيله عليه الصلاة والسلام، فقد نعتت أم سلمة قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنها "قراءة مفسرة، حرفاً حرفاً "[6]، ووصفت عائشة ترتيله فقالت :"لو أراد السامع أن يعد حروفه لعدها،لا كسردكم هذا"[7] وفي حديث حفصة " كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ

---

(١) ينظر : تفسير الطبري ٨٠/٢٩ ، الدر المنثور ٣١٤/٨ .

(٢) رواهما الطبري في تفسيره ٨٠/٢٩ ،وانظر الدر المنثور ٣١٤/٨.

(٣) سورة الإسراء، من الآية ١٠٦.

(٤) رواه الطبري في تفسيره ١١٩/١٥، وانظر: الدر المنثور ٣٤٦/٥.

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣١٤/٨، وعزاه لعبد الله بن حميد عنه.

(٦) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ٧٤، وأحمد في المسند ٢٩٤/٦، وأبو داود في سننه – كتاب الصلاة – باب استحباب الترتيل في القراءة ٧٣/٢-٧٤ برقم ١٤٦٦، والترمذي في جامعه – كتاب فضائل القرآن – ١٨٢/٥ برقم ٢٩٢٣، وقال :"هذا حديث حسن صحيح غريب".

(٧) ذكره الزمخشري في الكشاف ١٧٥/٤، وابن عاشور في التحرير والتنوير ٢٦٠/٢٩.

بالسورة فيرتلها حتى تكون أطولَ مِنْ أطولَ منها "،[1] وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: "صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فـــافتتح البقرة، فقلت يركع عند المائة، ثم مضى فقلت يصلي بها في ركعة، فمضى فقلـــت يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً، إذا مر بأية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ"الـــحديث.[2]

ومن العناية بتلاوة القرآن تجويده وإتقانه وتكميلـــه، قـــال العلمـــاء: التجويد في الاصطلاح: علم يُعرف به إعطاء كل حرف حقه مخرجاً وصـــفةً، والغاية منه: إتقان قراءة القران، بالنطق بحروف مكتملة الأحكام والصـــفات، محققة المخارج، من غير زيادة ولا نقصان، ولا تعسف ولا تكلف، وهو زينـــة للتلاوة وجمال لها، وأداء لها على الطريقة النبوية واللغة العربية الفصحى.[3]

وقد جاء الحث على تجويد التلاوة وإتقان القراءة فيما روي عن بعض السلف، قال علي بن أبي طـــالب رضي الله عنه في قوله :﴿ **وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً** ﴾[4] "الترتيل: تجويد الحروف ومعرفة الوقوف"[5]. وكانوا يصححون قراءة من يخل بأحكام التجويد ويوجهونه إلى مراعاتها، فعن عبدالله بن مسعود

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه – كتاب صلاة المسافرين وقصرها – باب جواز النافلة قائماً وقاعداً ١٣/٦ .

(٢) رواه مسلم في صحيحه – كتاب صلاة المسافرين وقصرها – باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل ٦١/٦-٦٢ .

(٣) ينظر : النشر ٢١٠/١-٢١٢، فن التجويد ٧ .

(٤) سورة المزمل ، من الآية ٤ .

(٥) ينظر : النشر ٢٠٩/١ .

أنه كان يقرئ رجلاً، فقرأ الرجل﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ ﴾[1] مرسلة، فقال ابن مسعود: " ما هكذا أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال :كيف أقرأكها يا أبا عبدالرحمن ؟ فقال " للفقراء والمساكين" فمدها"[2] .

ومن العناية بالقرآن الكريم تحسين الصوت وتجميله حال تلاوته، ويدخل في ذلك التغني به وتحزينه والتخشع به، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به" رواه البخاري ومسلم،[3] وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لله أشد أَذَناً إلى الرجل حسن الصوت بالقرآن يجهر به من صاحب القينة إلىقينته" رواه أحمد وابن ماجه،[4] قال الحافظ ابن كثير: "ومعناه : أن الله تعالى ما استمع لشيء كاستماعه لقراءة نبي يجهر بقراءته ويحسنها، وذلك أنه يجتمع في قراءة الأنبياء طيب الصوت لكمال خَلْقهم وتمام الخشية، وذلك هو الغاية من ذلك، وهو سبحانه يسمع أصوات العباد كـــلهم برهم وفاجرهم، كما قالت

---

(١) سورة التوبة ، من الآية ٦٠ .

(٢) ينظر : الدر المنثور ٢٢١/٤ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه – كتاب فضائل القرآن – باب من لم يتغن بالقران ٦٨/٩ برقم ٥٠٢٤ ومسلم في صحيحه - كتاب صلاة المسافرين وقصرها – باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن ٧٩/٦ واللفظ له .

(٤) رواه أحمد في المسند ١٩،٢٠/٦، وابن ماجه في سننه – أبواب إقامة الصلاة – باب في حسن الصوت بالقرآن ٢٤٣/١ برقم ١٣٣٤ ، قال البوصيري في الزوائد ٢٤١/١ " إسناده حسن "، وقال ابن كثير في فضائل القرآن ص ٧٣ :" سنده جيد ".

عائشة رضي الله عنها: " سبحـــان الذي وسع سمعه الأصـــوات"[1]، ولكن استمـــاعه لقراءة عباده المؤمـــنين أعـــظم، كمـــا قال تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ الآية،[2] ثم استماعه لقراءة أنبيائه أبلغ، كما دل عليه هذا الحديث العظيم".[3]

وفي المراد بقوله: " يتغنى بالقرآن " أقوال:

أحدهـــا: تحسين الصوت به، حكاه النووي عن أكثر العلماء ورجحه.[4]

الثانـــي: الاستغناء به عن غيره.

الثـــالث: القراءة بحزن، قاله محمد بن إدريس الشافعي [ت ٢٠٤ هــ].

الرابـــع: التشاغل به عن غيره، تقول العرب : تغنى بالمكان: أقام به .

الخامس: المراد التلذذ به والاستحلاء له كما يستلذ أهل الطرب بالغناء، حكاه أبو بكر محمد بن القاسم بن الأنباري [ت ٣٢٨هــ][5]، وقد جمع الحـــافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني [ت٨٥٢هــ] بين هذه الأقوال وغيرها جمعاً حسناً حيث قال: " والحاصل: أنه يمكن الجمع بين أكثر التأويلات المذكورة،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه تعليقاً ــ كتاب التوحيد ــ باب " وكان الله سميعاً بصيراً " ٣٧٢/١٣، وأحمد في المسند ٤٦/٦ ، وابن ماجه في سننه أبواب المقدمة ــ باب فيما أنكرت الجهمية ٣٦/١ برقم ١٧٦ ، وهو جزء المجادلة ، وفيما سبق " الحمد الله بدل " سبحان الله ".

(٢) سورة يونس ، من الآية ٦١.

(٣) فضائل القرآن ٧٣.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ٧٩/٦ .

(٥) ينظر : فتح الباري ٧٠/٩ . فتح الباري ٧٢/٩ .

وهو أن يحسن به صوته، جاهراً به، مترنماً على طريق التحزن، مستغنياً به عن غيره من الأخبار، طالباً به غنى النفس، راجياً به غنى اليد "(١)

وفي الأمر بتزيين التلاوة بتحسين الصوت وتجميله قال عليه الصلاة والسلام: "زينوا القرآن بأصواتكم " رواه أبو داود والنسائي وغيرهما عن البراء بن عازب رضي الله عنه (٢)، قال المناوي محمد عبدالرؤف المناوي، [ت ١٠٣١هـ]" أي : الهجوا بقراءته وأشغلوا أصواتكم به، واتخذوه شعاراً وزينةً لأصواتكم ....، وفي أدائه بحسن الصوت وجودة الأداء بعث للقلوب على استماعه وتدبره والإصغاء إليه".(٣)

وبحسن الصوت حال التلاوة تعرف مقامات الناس ويتميز القراء عن غيرهم فيترلون منازلهم من الإكرام والتقدير، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار " رواه البخاري ومسلم(٤) .

---

(١) فتح الباري ٧٢/٩ .

(٢) رواه أحمد في المسند ٢٨٣/٤ ، وأبو عبيد في فضائل القرآن ص ٧٦ ، وأبو داود في سننه - كتاب الصلاة – باب استحباب الترتيل في القراءة ٧٤/٢ برقم ١٤٦٨، والنسائي في سننه – كتاب الافتتاح – باب تزيين القرآن بالصوت ١٧٩/٢، وابن ماجه في سننه –باب ما جاء في قيام شهر رمضان- باب في حسن الصوت بالقرآن ٢٢٤/١ برقم ١٣٤٢، وصححه الألباني.

(٣) ينظر : فيض القدير ٦٨/٤ .

(٤) رواه البخاري في صحيحه - كتاب المغازي - باب غزوة خيبر ٤٨٥/٧ برقم ٤٢٣٢ ، ومسلم في صحيحه - كتاب فضائل الصحابة- باب من فضائل الأشعريين ٦١/١٦ .

لذا فقد كانت عنايته عليه الصلاة والسلام بهذا الأمر حال تلاوته القرآن عظيمة يجتهد في ذلك دون تكلف ولا تعسف، فكان أحسن الناس صوتاً وأجملهم تلاوة، عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في العشاء بـــ" والتين والزيتون " فما سمعت أحداً أحسن صوتاً منه أو قراءة " رواه البخاري ومسلم[1]، ورويا أيضا قصة جبير بن مطعم رضي الله عنه [ت ٥٨هـــ] حين قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في فداء الأسارى بعد بدر وهو يقرأ في الطور، فلما قرأ ﴿ **أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ** ﴾ قال جبير " كاد قلبي أن يطير " وفي رواية " وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي"[2]، وما كان ذاك إلا لما أراد الله هدايته للإسلام، ثم ما كان لحسن صوته عليه الصلاة والسلام من تأثير في قلبه وقد كان جبير مشركاً على دين قومه.

ومن عنايته عليه الصلاة والسلام بترتيل القرآن وتحسين الصوت والتغني به حال التلاوة ثناؤه على من عرف ذلك عنه من الصحابة والإشادة بهم، لعنايتهم بـــه وجدهم في تحقيقه ومواظبتهم عليه، منهم : أبو موسى عبدالله بن قيس الأشـــعري رضي الله عنه، ففي صحيح مسلم أنه عليه الصلاة والسلام قال له : " لو رأيتـــــني وأنا أستمع لقراءتك البارحة، لـــقد أوتيت مزماراً من مزامــــير آل داود"، [3] وعن

---

(١) رواه البخاري في صحيحه – كتاب الأذان – باب القراءة في العشاء ٢٥١/٢ برقم ٧٦٩ ، ومسلم في صحيحه – كتاب الصلاة – باب القراءة في العشاء ١٨١/٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه – كتاب التفسير – باب تفسير سورة الطور ٦٠٣/٨ برقم ٤٨٥٤ ، وفي كتاب المغازي – باب٧،٣٢٣/١٢ برقم ٤٠٢٣ ، واللفظ له ومسلم في صحيحه – كتاب الصلاة – باب القراءة في المغرب ١٨٠/٤ مختصراً .

(٣) سبق تخريجه.

أبي هريرة رضي الله عنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد، فسمع قراءة رجل، فقال :من هذا؟ قيل : عبد الله بن قيس، فقال : "لقد أوتي هذا من مزامير آل داود "،[1] لذا فقد بعثه النبي صلى الله عليه وسلم ومعاذاً إلى اليمن لأمور، منها: أن يعلما الناس القرآن، وكان رضي الله عنه إذا جلس مع عمر وأصحابه، طلب منه عمر أن يتلو عليهم القرآن لعلمه مبلغه العظيم ومرتبته العالية وسبقه غيره في ترتيل القرآن وحسن الصوت بتلاوته، يقول له: " ذكرنا يا أبا موسى، فيقرأ عنده "[2] ولما قدم رضي الله عنه دمشق على معاوية ونزل في بعض دورها، خرج معاوية من الليل يستمع لقراءته[3]، يقول أبو عثمان عبدالرحمن بن مل الهندي[ت ٩٥هـ]"ما سمعت مزماراً ولا طنبوراً[4]ولا صنجاً[5] أحسن من صوت أبي موسى الأشعري إن كان ليصلي بنا، فنود أنه قرأ البقرة من حسن صوته، وفي رواية "كان أبو موسى يصلي بنا، فلو قلت: أني لم أسمع صوت صَنْج قط ولا صوت

---

(١) رواه أحمد في المسند ٤٥٠/٢ ، وأبو عبيد في فضائل القرآن ص ٧٨ ، وابن سعد في الطبقات ١٠٧/٤ .

(٢) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ٧٩ ، وابن سعد في الطبقات ١٠٩/٤ ، وأبو نعيم في الحلية ٢٥٨/١ .

(٣) ينظر : سير أعلام النبلاء ٣٨٢/٢ .

(٤) الطنبور : آلة عود ، فارسي معرب ، القاموس " طنر " ٧٩/٢ .

(٥) الصّنْج : شيء يتخذ من صفر ،يضرب أحدهما على الآخر ، وآلة بأوتار يضرب بها ، معرب ، ينظر القاموس " صنج " ١٩٧/١ .

بَرْبط،[1] ولا شيئاً قط أحسن من صوته "[2] وقال العجلي: " لم يكن في الصحابة أحد أحسن صوتاً منه".[3]

ومن قراء الصحابة الذين أثنى عليهم النبي صلى الله عليه وسلم أبو عبدالرحمن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، قال مسروق : ذكر عبدالله بن عمرو، عبدالله بن مسعود رضي الله عنهما فقال : " لا أزال أحبه، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : " خذوا القرآن من أربعة : من عبدالله بن مسعود وسالم ومعاذ وأبي بن كعب"[4] .

فقد كان من علماء الصحابة رضي الله عنهم بالقرآن،تلاوة وحفظاً، تفسيراً وتعليماً، وهو من أوائل الذين تلقوا القرآن عن النبي صلى الله عليه وسلم فسعدوا به ونعموا، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "خرجت أنا وأبو بكر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا رجل قائم يصلي في المسجد فقام رسول الله يستمع قراءته، فلما كدنا،نعرفه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :من سره أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد، قال : ثم جلس الرجل يدعو، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له :سل تعطه سل تعطه " رواه الإمام أحمد[5].

---

(١) بَرْبط : آلة عود ، معرب ،القاموس " برط " ٣٥٠/٢ .

(٢) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ٧٩ ، وابن سعد في الطبقات ١٠٨/٤ ، وأبو نعيم في الحلية ٢٥٨/١ .

(٣) ينظر : سير أعلام النبلاء ٣٨٣/٢ .

(٤) رواه البخاري في صحيحه - كتاب فضائل القرآن - باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ٤٦/٩ برقم ٤٩٩٩ ، ومسلم في صحيحه - كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل عبدالله بن مسعود وأمه رضي الله عنهما ١٧/١٦-١٨ .

(٥) رواه في المسند ٤٥٤/١،٤٤٥،والحاكم في المستدرك بنحوه ٣١٧/٣ وصححه ووافقه الذهبي .

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال " كنت غلاماً يافعاً أرعى غنما لعقبة بن أبي معيط، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر، وقد نفرا من قريش، فقالا: يا غلام هل عندك من لبن تسقينا؟ فقلت : إني مؤتمن ولست ساقيكما، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: هل عندك من جذعة لم ينـــز عليها الفحل؟ قلت: نعم، فأتيتهما بها. فاعتقلها النبي صلى الله عليه وسلم ومسح الضرع ودعا فَحَفَّل[1] الضرع، ثم أتاه أبو بكر بصخرة منقعرة فاحتلب فيها، فشرب ثم سقى أبا بكر ثم شربت، ثم قال للضرع: أقلص[2] فقلص، قال : فأتيته بعد ذلك فقلت علمني من هذا القول، قال : إنك غلام معلَّم، فأخذت من فيه سبعين سورة لا ينازعني فيها أحد "رواه الإمام أحمد،[3] وروى البخاري ومسلم عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال : خطبنا عبدالله بن مسعود فقال: والله لقد أخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعاً وسبعين سورة، والله لقد علم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أني من أعلمهم بكتاب الله، وما أنا بخيرهم "[4]ولا أدل على إمامته في القراءة وحسن صوته بالتلاوة من طلب النبي صلى الله عليه وسلم منه القراءة عليه، وتلك شهادة عالية وتزكية رفيعة له، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اقرأ علي القرآن، فقلت : يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل، قال : إني

---

(١) حَفَّـــل : كثر لبنه واجتمع ، ينظر: القاموس "حفل " ٣٥٨/٣ .

(٢) قلص : ارتفع لبنه ، ينظر: القاموس " قلص " ٣١٤/٢ .

(٣) رواه في المسند ١/ ٣٧٩ ، وانظر: سير أعلام النبلاء ٤٦٥/١ .

(٤) رواه البخاري في صحيحه – كتاب فضائل القرآن – باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ٤٦/٩ برقم ٥٠٠٠ واللفظ له ، ومسلم في صحيحه – كتاب فضائل الصحابة – باب من فضائل عبدالله بن مسعود وأمه رضي الله عنهما ١٥/١٦ .

أحب أن أسمعه من غيري، فقرأت عليه سورة النســاء،حتى إذا جئــت إلى هــذه الآيــة ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾[1] قال: حسبك الآن، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان "رواه البخاري ومسلم[2].

وقد شهد الصحابة والــتابعون له بذلك وأثنوا عليه به، سئل علي بــن أبي طالب عن ابن مسعود رضي الله عنهما فقال : " قرأ القرآن ثم وقف عنــده،وكفى به علماً"،[3]وقال مسروق بن الأجدع الهمداني [ت ٦٣هــ]: "جالست أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فوجدهم كالإخاذ[4] يروي الرجل، والإخــاذ يــروي الرجلين، والإخاذ يروي المائة، والإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم، فوجدت عبدالله من ذلك الإخاذ"[5]،وما كان له ذلك إلا بتوفيق من الله عز وجل ومنــة ثم قربه الشديد وحضوره الملازم للنبي صلى الله عليه وسلم، فقد كان صاحب وساده وسواكه ونعليه وطهوره، يقول أبو موسى الأشعري " قدمت أنا وأخي من اليمن، فكنا حيناً، وما نرى ابن مسعود وأمه إلا من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم من كثرة دخولهم ولزومهم له ."[6]

---

(١) سورة النساء الآية رقم (٤١) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه - كتاب فضائل القرآن - باب البكاء عند قراءة القرآن ٩/٩٨ برقم ٥٠٥٥، ومســلم في صحيحه - كتاب صلاة المسافرين وقصــرها - باب فضل استماع القرآن ٦/٨٧ .

(٣) رواه الحاكم في المستدك٣/٣١٨ وصححه ووافقه الذهبي ، وأبو نعيم في الحلية١/١٢٩ ، وانظر: سير أعلام النبلاء ١/ ٤٩٠ .

(٤) الإخاذ : غدير الماء ، ينظر : القاموس " أخذ " ١/ ٣٥٠ .

(٥)رواه ابن سعد في الطبقات ٢/٣٤٣ .

(٦) رواه البخاري في صحيحه - كتاب فضائل الصحابة - باب مناقب عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ٧/١٠٢ برقم ٣٧٦٣ ومسلم في صحيحه- كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل عبدالله ابن مسعود وأمه رضي الله عنهما ١٦/١٤ واللفظ له .

ولذلك كان أبو موسى يقول: " لا تسألونا عن شيء ما دام هذا الحبر بين أظهرنا، من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم "[1] يعني :ابن مسعود، وعلل ذلك في رواية أخرى بقوله " إن كان ليؤذن له إذا حجبنا ويشهد إذا غبنا"،[2] وكان عبدالله بن مسعود رضي الله عنه مع ما سبق حريصاً على تعلم القرآن وطلب معانيه والعلم بأحكامه مجتهداً في ذلك، يقول رضي الله تعالى عنه: " والله الذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن أنزلت، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه ".[3]

ومن قراء الصحابة الذين كانت لهم عناية بتلاوة القرآن وترتيله وحفظه مع العلم بمعانيه وأحكامه أبو المنذر أبي بن كعب الخزرجي الأنصاري[ت٣٢هـ] كان سيد القراء، أثنى عليه النبي صلى الله عليه وسلم حيث عده من القراء الأربعة الذين تؤخذ عنهم القراءة كما سبق،وبقوله أيضا "وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب"،[4] ولا أدل على جودة قراءته وحسن تلاوته ومبلغ حفظه من

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية ١٢٩/١ .

(٢) رواه مسلم في صحيحه - كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل عبدالله بن مسعود وأمه رضي الله عنهما ١٥/١٦ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه - كتاب فضائل القرآن - باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ٤٧/٩ برقم ٥٠٠٢ واللفظ له ، ومسلم في صحيحه – كتاب فضائل الصحابة – باب من فضائل عبدالله بن مسعود وأمه رضي الله عنهما ١٧/١٦ .

(٤) جزء من حديث رواه الترمذي في جامعه – كتاب المناقب – باب مناقب معاذ بن جبل وأبي وغيرهما ٦٦٥/٥ برقم ٣٧٩١ ، وقال " هذا حديث حسن صحيح " ، وابن ماجه في سننه - صحيح سنن ابن ماجه - أبواب المقدمة- باب في فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ٣١/١ برقم ١٢٥ وصححه الألباني .

قراءة النبي صلى الله عليه وسلم عليه، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بن كعب "إن الله أمرني أن أقرأ عليك ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾، فقال:وسماني، قال: نعم، قال: فبكى "رواه الشيخان،[1] وفي رواية قيل لأبي " وفرحت بذلك ؟ قال : وما يمنعني وهو تعالى يقول: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[2]،[3] قال الحافظ ابن حجر: "بكى أبي إما فرحاً وسروراً بذلك وإما خشوعاً وخوفاً من التقصير في شكر تلك النعمة.... قال القرطبي : تعجب أبي من ذلك، لأن تسمية الله ونصه عليه ليقرأ عليه النبي صلى الله عليه وسلم تشريف عظيم...، وقال أبو عبيد : "المراد بالعرض على أبي ليتعلم أبي منه القراءة ويتثبت فيها، وليكون عرض القرآن سنة، وللتنبيه على فضيلة أبي بن كعب وتقدمه في حفظ القرآن، وليس المراد أن يستذكر منه النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً بذلك العرض".[4]

وقال الإمام النووي " ومنها: المنقبة الشريفة لأبي، بقراءة النبي صلى الله عليه وسلم عليه، ولا يعلم أحد من الناس شاركه في هذا، ومنها: منقبة أخرى

---

(١) رواه البخاري في صحيحه - كتاب مناقب الأنصار - باب مناقب أبي بن كعب رضي الله عنه ١٢٧/٧ ، برقم ٣٨٠٩ ، ومسلم في صحيحه - كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل أبي بن كعب وجماعة من الأنصار رضي الله عنهم ٢٠/١٦ .

(٢) سورة يونس ، من الآية (٥٨) .

(٣) رواه أحمد في المسند ١٢٣/٥ ، وأبو نعيم في الحلية ٢٥١/١ .

(٤) فتح الباري ١٢٧/٧ ، وانظر : فضائل القرآن لأبي عبيد ص ٢١٥ مختصراً .

له بذكر الله تعالى له ونصه عليه في هذه المترلة الرفيعة"، [1]وفي موقف آخر أثنى النبي صلى الله عليه وسلم على علم أبي رضي الله عنه بالقرآن ومعرفة ما خص الله عز وجل بالفضل بعض آياته، ففي صحيح مسلم عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم ؟ قلت : الله ورسوله أعلم، فأعادها فقلت : "الله لا إله إلا هو الحي القيوم " قال: فضرب في صدري وقال: والله ليهنك العلم أبا المنذر". [2]

وممن أثنى عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم لحسن صوته بتلاوة القرآن واستمع لقراءته وهو من الأئمة القراء المعدودين سالم بن معقل مولى أبي حذيفة رضي الله عنهما، كما سبق في حديث " خذوا القرآن من أربعة : من عبدالله بن مسعود وسالم .... " الحديث، وعن عائشة رضي الله عنهما قالت " أبطأت علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة بعد العشاء، ثم جئت فقال: أين كنت ؟ قلت : كنت أستمع قراءة رجل من أصحابك، لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد، قالت : فقام وقمت معه حتى استمع له، ثم التفت إلي وقال: هذا سالم مولى أبي حذيفة، الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا " [3]

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ٨٦/٦ .

(٢) رواه مسلم في صحيحه - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي ٩٣/٦.

(٣) رواه ابن ماجه في سننه - أبواب إقامة الصلاة - باب في حسن الصوت بالقرآن ٢٤٣/١ برقم ١٣٣٢ وقال البوصيري في الزوائد "إسناده صحيح، رجاله ثقات " ٢٤٠/١ ، وقال ابن كثير في فضائل القرآن " إسناده جيد " ص ٧٨ ، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة ٢٢٣/١

وقد سار على هدي النبي صلى الله عليه وسلم في هذا وغيره الصحابة والتابعون لهم بإحسان رحم الله الجميع،حيث كانت لهم العناية البالغة بترتيل القران وتجويده وتحسين الصوت بتلاوته،كما سبق ممن أثنى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرهم، كما كانوا يعرفون لمن وفقهم الله لذلك قدرهم وينزلوهم المنازل العالية والرتب الرفيعة من الاحترام والتقدير وحب سماع صوتهم بتلاوة القران،كصنيع عمر رضي الله عنه مع أبي موسى الأشعري رضي الله عنه،حين قال له:-وكان مع أصحابه -" ذكرنا يا أبا موسى، فيقرأ عنده "، وكان عمر يقدم الشاب الحسن الصوت لحسن صوته بين يدي القوم[(١)]، وعن عقبة بن عامر – وكان أحسن الناس صوتاً بالقرآن – أن عمر بن الخطاب قال له :"يا عقبة اعرض علي سورة، فعرض عليه ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ ﴾ [(٢)].

ومن الأئمة القراء الذين وهبهم الله حسن الصوت مع عنايتهم بترتيل القرآن علقمة بن قيس النخعي، لازم عبدالله بن مسعود رضي الله عنه فأخذ عنه القرآن،وكان ابن مسعود يجله ويقدره لأجل ذلك، يقول علقمة :" كنت رجلاً قد أعطاني الله حسن الصوت بالقرآن، وكان ابن مسعود يرسل إلي فأقرأ عليه، فإذا فرغت من قراءتي قال: زدنا فداك أبي وأمي"[(٣)]،قال الإمام النووي:" اعلم أن جماعات من السلف كان يطلبون من أصحاب القراءة بالأصوات الحسنة أن يقرؤوا وهم يستمعون، وهذا متفق على استحبابه، وهو عادة الأخيار والمتعبدين وعباد الله الصالحين،وهو سنة ثابتة عن رسول الله صلى الله

---

(١) ينظر : فتح الباري ٩٢/٩.

(٢) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ص٧٩ .

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية ٩٩/٢.

عليه وسلـــم،فقـــد صح عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صـــلى الله عليه وسلم:"اقرأ علي القران، فقلت :يا رسول الله أقرأ عليك وعليـــك أنزل، قال : إني أحب أن أسمعه من غيري، فقرأت عليه سورة النســـاء حتى إذا جئت إلى هذه الآية ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا** ﴾، قال: حسبك الآن، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان" رواه البخاري ومسلم ... والآثار في هذا كثيرة ومعروفة".[١]

---

(١) ينظر التبيان ٩٠ -٩١ .

ومن اشتهر بالصوت الحسن وترتيل القرآن الإمام عاصم بن بهدلة بن أبي النجود [ت ١٢٨ هـ] أحد القراء السبعة، فقد كثر عليه الثناء بذلك، قال مسلمة بن عاصم " كان عاصم ذا أدب ونسك وفصاحة وصوت حسن"[١] وقال أبو إسحاق السبيعي: " ما رأيت أحداً أقرأ للقرآن من عاصم بن أبي النجود ".[٢]

ومن اجتهاد السلف وحرصهم على تحسين الصوت حال التلاوة وترتيل القرآن ما جاء في رواية أبي داود حديث " ليس منا من لم يتغن بالقرآن " أنه قيل لابن أبي ملكية- وهو عبدالله بن عبيد الله [ت ١١٧هـ] أحد رجال إسناد الحديث- يا أبا محمد أ رأيت إذا لم يكن حسن الصوت ؟ قال: يحسنه ما استطاع "،[٣] والأمثلة على ما سبق من سيرهم وأحوالهم كثيرة .

إن حسن الصوت نعمة من الله سبحانه، ولهذا عظمت الوصية لمن وهبت له أن يتقي الله في ذلك وأن يقوم بحقها ويرعاها ويحافظ عليها ويخلص لله فيها، يقول الإمام الآجري: "ينبغي لمن رزقه الله حسن الصوت بالقرآن أن يعلم أن الله قد خصه بخير عظيم، فليعرف قدر ما خصه الله به، وليقرأ لله لا للمخلوقين، وليحذر من الميل إلى أن يستمع منه ليحظى به عند السامعين، رغبة في الدنيا والميل إلى حسن الثناء والجاه من أبناء الدنيا...،فمن مالت نفسه إلى ما نهيته عنه خفت أن يكون حسن صوته فتنة عليه، وإنما ينفعه حسن صوته إذا خشي الله - عز وجل — في السر والعلانية، وكان مراده أن يُستمع منه القرآن

---

(١) ينظر : سير أعلام النبلاء ٥ | ٢٥٩ ،معرفة القراء الكبار ص٥٣ .

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء ٥ | ٢٥٧ .

(٣) رواه أبو داود في سننه - كتاب الصلاة - باب استحباب الترتيل في القراءة ٢ | ٧٥ برقم ١٤٧١

لينتبه أهل الغفلة عن غفلتهم، فيرغبوا فيما رغبهم لله عز وجل وينتهوا عما نهاهم، فمن كانت هذه صفته انتفع بحسن صوته وانتفع به الناس".[1]

وفي كلام الآجري السابق إرشاد للقارئ أن يتحزّن عند تلاوته ويخشع قلبه ويتفكر في آياته ويتأمل فيها، فيخشى الله - عز وجل - وتظهر آثار تلك الخشية عليه، تأثراً وبكاءً، ذلاً واستكانة، امتثالاً لأوامره وبعداً عن زواجره، وتحاكماً إليه، وقد أبان الآجري رحمه الله تعالى هذا أيضاً بقوله " فأحب لمن قرأ القرآن أن يتحزّن عند قراءته ويتباكى ويخشع قلبه، ويتفكر في الوعد والوعيد ليستجلب بذلك الحزن،ألم يسمع إلى ما نعت الله - عز وجل - من هو بهذه الصفة، وأخبر بفضلهم، فقال عز وجل: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾[2] الآية، ثم ذم أقواماً استمعوا القرآن فلم تخشع له قلوبهم فقال عز وجل:﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴾[3]، يعني: لاهين[4]، فلا بد في قراءة القرآن من التدبر والتفكر كيما يحصل له أعلى درجات الانتفاع بالقرآن الكريم والتأثر به، فقد أمر الله تعالى بتدبر القرآن ونهى عن الإعراض عنه وإغفال تفهم معانيه، قـال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ

---

(١) أخلاق حملة القرآن ٧٩.

(٢) سورة الزمر ، من الآية ٢٣ .

(٣) سورة النجم ، الآيات ٥٩ - ٦١ .

(٤) ينظر : أخلاق حملة القرآن ٨١، وانظر: المفردات ٢٤١.

أَقْفَالُهَآ ﴾[1] وقال عز وجل:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[2]، فقراءة التدبر والتأمل هي الترتيل المطلوب في قوله تعالى:﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً ﴾ أي: اقرأه على تمهل وتؤدة فإنه يكون عوناً على فهم القرآن وتدبره، وهكذا كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سبق،ففي حديث حفصة قالت: " كان يقرأ السورة حتى تكون أطولَ مِنْ أطولَ منها"، ولما سئلت أم سلمة رضي الله عنها عن قراءته عليه الصلاة السلام قالت: " كان يقطع قراءته آية آية " وغير ذلك.

فالترتيل يعني: التمهل والتأمل والتدبر، وذلك معين على الفهم والعمل، والمعرفة والامتثال، مع الأنس والراحة والطمأنينة التي يجدها القارئ أو السامع لكلام الله عز وجل، وقد يكون القارئ ممن تشق عليه القراءة فيثقل بها لسانه لعجمته أو لعدم معرفته بقواعد اللغة، ومع ذلك فهو حاضر القلب مرهف الحس مجتهد في إتقان التلاوة وتحسينها والتدبر فيها، يجني ثمار تلاوته في الدنيا مع ما أعد الله له من الثواب الجزيل في الآخرة، بخلاف قارئ آخر قد يكون طلق اللسان حسن الصوت لكنه غافل الجنان معرض عن هدايات القرآن، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

ومن أدلة فضل التحزن والخشوع حال التلاوة ما رواه جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن من أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذي إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله " رواه ابن ماجه[3] .

---

(١) سورة محمد ، الآية ٢٤ .

(٢) سورة النساء ، الآية ٨٢ .

(٣) رواه الآجري في أخلاق حملة القرآن ٧٩ ، وابن ماجه في سننه – أبواب إقامة الصلاة – باب في حسن الصوت بالقرآن ٢٢٤/١ برقم ١١٠١، وصححه الألباني بمجموع طرقه .

ومن عناية الصحابة بهذا الأمر وتوجيه التابعين له وتذكيرهم به، ما رواه عبدالرحمن بن السائب بن أبي نهيك المخزومي قال: قدم علينا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه [ت ٥٥هـ] وقد كف بصره، فأتيته مسلّماً وانتسبني فانتسبت له، فقال: مرحباً يا ابن أخي، بلغني أنك حسن الصوت بالقرآن، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إن هذا القرآن نزل بحزن، فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا، وتغنوا به، فمن لم يتغن به فليس منا".[١]

ومن عناية السلف به والتزامه والوصية به والثناء على المعتنين به ما رواه طلق بن حبيب العنزي [ت بعد التسعين] قال: "أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذي إذا قرأ رأيت أنه يخشى الله عز وجل "[٢]، وكان رحمه الله تعالى ممن امتثل هذا واعتنى به، فجمع بين ذلك وبين الوصية به والدعوة إليه، يقول طاوس بن كيسان اليماني [ت ١٠٦هـ]: " ما رأيت أحداً أحسن صوتاً منه، وكان ممن يخشى الله تعالى"،[٣] وكان طاوس يقول: " أحسن الناس صوتاً بالقرآن أخشاهم لله تعالى "[٤].

ولا شك أن حسن الصوت بتلاوة القرآن والعناية بترتيله له تأثيره في النفوس، فتقبل عليه ولا تملّ سماعه، كما أنه معين على التأثر والبكاء، ومورث للخشية

---

(١) رواه الآجري في أخلاق حملة القرآن ٨٠، وابن ماجه في سننه - أبواب إقامة الصلاة - باب في حسن الصوت بالقرآن ١/٢٤٢-٢٤٣ برقم ١٣٣١ وهو حديث ضعيف كما في مصباح الزجاجة للبوصيري ١/٢٤٠ ، وأصله في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية ٣/٦٣ .

(٣) ينظر : سير أعلام النبلاء ٤/٦٠١ .

(٤) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ٨٠ .

ورقة القلب، ومعين على التأمل والتفكر في آيات القرآن والنظر في معانيها والوقوف على هداياتها ودلالاتها، ليكون العمل والتطبيق والامتثال لما تضمنته من أحكام وآداب ونحو ذلك.

قال الحافظ ابن حجر:" ولا شك أن النفوس تميل إلى سماع القراءة بالترنم أكثر من ميلها لمن لم يترنم، لأن للتطريب تأثيراً في رقة القلب وإجراء الدمع"، ثم قال:"والذي يتحصل من الأدلة أن حسن الصوت بالقرآن مطلوب فإن لم يكن حسناً، فليحسنه ما استطاع، كما قال ابن أبي مليكة أحد رواة الحديث، وقد أخرج ذلك عنه أبو داود بإسناد صحيح، ومن جملة تحسينه أن يراعي فيه قوانين النغم، فإن الحسن الصوت يزداد حسناً بذلك، وإن خرج عنها أثر ذلك في حسنه، وغير الحسن ربما انجبر بمراعاتها ما لم يخرج عن شرط الأداء المعتبر عند أهل القراءات، فإن خرج عنها لم يف تحسين الصوت بقبح الأداء"[(١)].

ومن أمثلة تأثير حسن صوت قارئ القرآن على الآخرين، وإقبال قلوبهم عليه وإنصاتهم له، ما كان لجبير بن مطعم رضي الله عنه حين استمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم - وكان أحسن الناس صوتاً - حين كان يتلو سورة الطور، حتى بلغ قوله ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴾ الآيات قال جبير: " كاد قلبي أن يطير، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي ".

وجاء في سيرة الإمام المقرئ يحيى بن وثاب الكوفي [ت ١٠٣ هـ] أنه كان حسن الصوت بالقرآن معتنياً بإتقانه وترتيله، فلا يسمعه أحد إلا أنصت لقراءته وأقبل على تلاوته، يقول الأعمش: " كان يحيى بن وثاب من أحسن الناس

---

(١) فتح الباري ٧٩/٩ .

قراءة، ربما اشتهيت أن أقبل رأسه من حسن قراءته، وكان إذا قرأ لا تسمع في المسجد حركة، كأن ليس في المسجد أحد "[1] .

وفي مقابل الحث على ترتيل القرآن وتحسين الصوت حـال تلاوته والعناية بذلك والوصية به والثناء على من اعتنى بهذا الأمر وحققه، فقد حـذر السلف من قراءة القرآن بالألحان المطربة والخروج بالقراءة إلى الطرق المبتدعة والأصوات المنغمة المحدثة، والتكلف في إخراج الحروف ونحو ذلك، فـالقرآن يتره عن هذا كله،قال ابن كثير: "والغرض أن المطلوب شرعاً إنما هو التحسين بالصوت الباعث على تدبر القرآن وتفهمه، والخشوع والخضـوع والانقيـاد للطاعة،فأما الأصوات بالنغمات المحدثة المركبة على الأوزان والأوضاع الملهية والقانون الموسيقائي فالقرآن يتره عن هـذا، ويجل ويعظم أن يسلك في أدائـه هذا المـذهب "[2] .

وقال الماوردي: " القراءة بالألحان الموضوعة إن أخرجت لفظ القرآن عن صيغته بإدخال حركات فيه، أو إخراج حركات منه، أو قصر ممدود، أو مد مقصور، أو تمطيط يخل به بعض اللفظ ويلتبس المعنى فهو حرام، يُفَسّق به القارئ، ويأثم به المستمع، لأنه عدل به عن نهجه القويم إلى الاعوجاج، والله تعالى يقول: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ ﴾[3] ..."[4]

---

(١) ينظر : سير أعلام النبلاء ٣٨١/٤ معرفة القراء الكبار ص ٣٤ .

(٢) فضائل القرآن ص ٧٩ .

(٣) سورة الزمر ، من الآية (٢٨) .

(٤) ينظر : التبيان ٨٩ ، وانظر : النشر ٢١٣/١ .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه [ت ٩٢ هـ] " أنه سمع رجلاً يقرأ بهذه الألحان التي أحدث الناس، فأنكر ذلك ونهى عنه "[١]، ولما قيل لورقاء بن إياس: " كان سعيد بن جبير يصنع كما يصنع هؤلاء الأئمة اليوم، يطربون ويرددون ؟قال: معاذ الله، إلا أنه كان إذا مر على مثل هذه الآية: ﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴾ [٢] مدها شيئاً،[٣] وقال رجل لعبد الله بن المبارك المروزي [ت ١٨١هـ]: "إنا نقرأ بهذه الألحان، فقال له: إنا أدركنا القراء وهم يُؤتون تسمع قراءتهم،وأنتم تدعون اليوم كما يدعى المغنون"،[٤]وروي عن سعيد بن المسيب أنه سمع عمر بن عبد العزيز يؤم بالناس فطرب في قراءته، فأرسل إليه سعيد يقول: أصلحك الله، إن الأئمة لا تقرأ هكذا، فترك عمر بعدُ التطريب"، وسئل مالك عن الألحان في الصلاة،فقال: "لا يعجبني، إنما هو غناء يتمتعون به، أو قال: يتغنون به ليأخذوا عليه الدراهم "[٥] قال محمد بن أبي بكر المشهور بابن القيم [ت ٧٥١هـ] رحمه الله تعالى: " وكل من له علم بأحوال السلف يعلم قطعاً أنهم برآء من القراءة بألحان الموسيقى المتكلفة، التي هي إيقاعات وحركات موزونة معدودة محدودة وأنهم أتقى لله من أن يقرؤوا بها ويسوغوها " [٦] وقال أيضاً – يحكي

---

(١) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ص٨١ ، وابن كثير في فضائل القرآن ص٨٠ .

(٢) سورة غافر الآية (٧١).

(٣) ينظر: حلية الأولياء ٢٧٣/٤ .

(٤) ينظر : حلية الأولياء ١٦٩/٨ .

(٥) ينظر لهما: التذكار ١٦١.

(٦) زاد المعاد ٤٩٣/١ .

كراهة أئمة السلف هذا التنطع والتكلف-:" والمقصود أن الأئمة كرهوا التنطع والغلو في النطق بالحرف، ومن تأمل هدي النبي صلى الله عليه وسلم وإقراره أهل كل لسان على قراءهم تبين له أن التنطع والتشدق والوسوسة في إخراج الحروف ليس من سنته"[١].

وقد استمرت هذه العدوى في العصور المتأخرة، حتى عصرنا هذا، وقد حذر منها العلماء والفضلاء، ونهوا عن حضور مجالسها أو استماعها والاحتفاء بها بعد أن كشفوا عوارها وأبانوا حقيقتها، يقول مصطفى الرافعي: "ومما ابتدع في القراءة والأداء هذا التلحين الذي بقي إلى اليوم، يتناقله المفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم، ويقرؤون به على ما يشبه الإيقاع، وهو الغناء التقي، ومن أنواعه عندهم في أقسام النغم (الترعيد) وهو: أن يرعد القارئ صوته، كأنه يرعد من البرد أو الألم، (والترقيص) وهو: أن يروم السكوت على الساكن ثم ينقر مع الحركة كأنه في عدوٍ أو هرولة، (والتطريب) وهو: أن يترنم بالقرآن ويتنغم به، فيمد في غير مواضع المد، ويزيد في المد إن أصاب موضعه، (والترديد) وهو: رد الجماعة على القارئ في ختام قراءته بلحن واحد على وجه من تلك الوجوه.

وإنما كانت القراءة (تحقيقاً) وهو: إعطاء كل حرف حقه على مقتضى ما قرره العلماء مع ترتيل وتؤدة، أو (حدراً) وهو: إدراج القراءة وسرعتها مع مراعاة شروط الأداء الصحيحة، أو (تدويراً) وهو: التوسط بين التحقيق والحدر".[٢]

---

(١) ينظر: إغاثة اللهفان ١/١٦٢.

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ٥٩، وانظر: بدع القراء القديمة والمعاصرة ٧-١٣.

المبحث الرابع: علمهم بتفسير القرآن ومعرفة أحكامه والفتيا به:

أنزل الله عز وجل كتابه الكريم هدى و نوراً لهذه الأمة متى اعتنت بتعلم تلاوته ومعرفة أحكامه وتفهم آياته، فأقبلت عليه تتلوه حق تلاوته مغتنمة الأجر العظيم في ذلك، و تمسكت به و تحاكمت إليه، وعملت بمحكمه وآمنت بمتشابهه، ائتماراً بأوامره و ابتعاداً عن زواجره و نواهيه ووقوفاً عند حدوده ولن يكون لها ذلك حتى تعلم تفسيره ومراد الله منه، ومعرفة أوامره ونواهيه وحلاله وحرامه، وشرائعه وأحكامه، فعلم معاني القرآن ينصب على تفسيره وشرح آياته وبيان مقاصد عباراته وهذا يحتاج إلى فكر ونظر صائب لإظهار المراد وتبين المقصود . ولذا كان منهج النبي صلى الله عليه وسلم الذي ربى عليه أصحابه، ولقنه الصحابة من بعدهم، وسار عليه الموفقون من عباد الله ما رواه أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي رحمه الله تعالى قال: " حدثنا الذين كانوا يقرؤوننا القرآن كعثمان بن عفان و عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما و غيرهما، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم و العمل، قالوا: فتعلمنا القرآن و العلم و العمل جميعاً"،[1] قال أبو وائل شقيق بن سلمة: "قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن و العمل بهن"،[2] وفي رواية "كنا إذا تعلمنا من النبي صلى الله عليه

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

وسلم عشر آيات لم نتعلم من العشر التي نزلت بعدها حتى نعلم ما فيها"[١] فلا يمكن العمل بكتاب الله و اتباعه إلا بعد العلم به و فهم معانيه .

ولا يكون ذلك إلا بالمدارسة والمذاكرة، و التعليم والتحصيل، والالتحاق بحلق أهل العلم ولزوم المشايخ والنظر في كتبهم، وفي ذلك الأجر العظيم والثـــواب الجزيل عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رســـول الله صـــلى الله عليـــه وسلم:"وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارســـونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده "،[٢] وسئل ابن عباس رضي الله عنهما " أي العمل أفضل؟ فقال: ذكر الله أكبر، وما جلس قوم في بيت من بيوت الله، يدرسون في كتـــاب الله ويتعاطونه بينهم إلا أظلتهم الملائكة بأجنحتها، و كانوا أضياف الله ما دامـــوا فيه، حتى يخوضوا في حديث غيره "[٣] .

وفي فضل طلب علم القرآن وفهم آياته ومعرفة أحكامه روى ابن أبي حاتم والطـــبري عن ابن عباس رضـــي الله عنهما في تفسير قوله تعالى:﴿ **يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ** ﴾[٤] قال: " المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه

---

(١) ينظر سير أعلام النبلاء ١/٤٩٠.

(٢) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه – كتاب الذكر و الدعاء – باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن و على الذكر ٢١/١٧.

(٣) رواه عنه الآجري في أخلاق حملة القرآن صـــ٣٤ ، وذكر السيوطي في الدر المنثور ٥/ ١٤٦ و عزاه لسعيد بن منصور و ابن أبي شيبة وابن المنذر والحاكم في الكنى، والبيهقي في شعب الإيمان.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٦٩.

ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله"[1] ورويا أيضاً عن قتادة ومجاهد وأبي العالية أنهم قالوا:" القرآن والفقه فيه"،[2] وقال مجاهد: " أحب الخلق إلى الله أعلمهم بما أنزل "[3] وقال الحسن البصري: " و الله ما أنزل الله آية إلا أحب أن يعلم فيما أنزلت وما يعني بها "[4]

وقد أبان السلف رحمهم الله تعالى خطورة الجهل بمعاني القرآن وآثاره السيئة على من أعرض عن علمه وتفهم معانيه، فخاضوا فيه بآرائهم وحملوا معانيه وفق أهوائهم فضلوا وأضلوا واختلفوا وافترقوا، روى أبو عبيد عن إبراهيم التيمي قال: "خلا عمر ذات يوم فجعل يحدث نفسه: كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد وقبلتها واحدة؟ فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين إنا أنزل علينا القرآن، فقرأناه وعلمنا فيما نزل، وإنه سيكون بعدنا أقوام يقرؤون القرآن ولا يدرون فيما نزل، فيكون لهم فيه رأي، فإذا كان لهم فيه رأي اختلفوا، فإذا اختلفوا اقتتلوا، قال: فزبره عمر وانتهره، فانصرف ابن عباس ونظر عمر فيما قال فعرفه، فأرسل إليه فقال: أعد عليّ ما قلت فأعاد عليه فعرف عمر قوله و أعجبه". [5]وقال الحسن البصري " أهلكتهم العجمة، يقرأ أحدهم الآية فيعيا بوجوهها حتى يفتري على الله فيها " .[6]

---

(١) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم ٢/٥٣١-٥٣٢، تفسير الطبري ٥/٥٧٦- ٥٧٧.

(٢) ينظر تفسير ابن أبي حاتم ٢/٥٣١ ــ ٥٣٢ ، تفسير الطبري ٥/٥٧٦ ــ ٥٧٧.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١ / ٢٦ ، و المحرر الوجيز ١ / ١٥.

(٤) ينظر الجامع لأحكام القرآن ١ / ٢٦ ، المحرر الوجيز ١ / ١٥ و ذكره السيوطي في الدر المنثور ١ / ٦١٨ و عزاه لعبد بن حميد.

(٥) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ٤٥.

(٦) ينظر المحرر الوجيز ١/١٥.

فلا مساواة بين العالم والجاهل، يقول تعالى:﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾،(١) قال عبد الله بن مسلم بن قتيبه [ت ٢٧٦هـ] رحمه الله تعالى: "إن القرآن نزل بألفاظ العرب ومعانيها، ومذاهبها في الإيجاز والاختصار، والإطالة والتوكيد، والإشارة إلى الشيء، وإغماض بعض المعاني، حتى لا يظهر عليه إلا اللقن،(٢) وإظهار بعضها وضرب الأمثال لما خفي، ولو كان القرآن كله ظاهراً مكشوفاً حتى يستوي في معرفته العالم و الجاهل لبطل التفاضل بين الناس و سقطت المحنة و ماتت الخواطر".(٣)

وأعظم العلوم وأشرفها وأنفعها ما كان مرتبطاً بكلام الله عز وجل، فلا مقارنة بين من اشتغل بتفسير القرآن واعتنى بفهم معانيه ومعرفة أحكامه وبذل الجهد في ذلك، ومن أعرض عن هذا العلم الشريف وزهد في معرفته والعناية به وإن كان يقرأ القرآن ويحافظ على حزبه من تلاوته، يقول إياس بن معاوية المزني[ت ١٢٢ هـ]: "مثل الذين يقرؤون القرآن و هم لا يعلمون تفسيره كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلاً و ليس عندهم مصباح فتداخلتهم روعة، لا يدرون ما في الكتاب، ومثل الذي يعرف التفسير كمثل رجل جاءهم بمصباح فقرؤوا ما في الكتاب".(٤)

(١) سورة الزمر ، من الآية ٩ .

(٢) اللقن : السريع الفهم الذكي ، القاموس "لقن" ٢٦٨/٤ .

(٣) ينظر :تأويل مشكل القرآن ٨٦.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز ١ / ١٥ ، الجامع لأحكام القرآن ٢٦/١ .

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: "و ينبغي له أن يتعلم أحكام القرآن فيفهم عن الله مراده و ما فرض عليه، فينتفع بما يقرأ و يعمل بما يتلو، فما أقبح لحامل القرآن أن يتلو فرائضه وأحكامه عن ظهر قلب وهو لا يفهم ما يتلو، فكيف يعمل بما لا يفهم معناه؟ وما أقبح أن يسأل عن فقه ما يتلوه ولا يدريه، فما مثل من هذه حالته إلا كمثل الحمار يحمل أسفاراً "(١) .

فأشرف العلوم علم تفسير القرآن والبحث في معانيه ومعرفة أحكامه، إذ شرف العلم بشرف المعلوم، ولا أجل ولا أعظم ولا أشرف من كلام الله سبحانه، يقول الإمام شهاب الدين محمود الآلوسي [ت ١٢٧٠هـ]: "وأما بيان شرفه: فلأن شرف العلم بشرف موضوعه و شرف معلومه وغايته وشدة الاحتياج إليه، وهو حائز لجميعها، فإن موضوعه كلام الله تعالى، وماذا عسى أن يقال فيه، و معلومه مع أنه مراد الله تعالى الدال عليه كلامه جامع للعقائد الحقة والأحكام الشرعية وغيرها، وغايته الاعتصام بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها والوصول سعادة الدارين، وشدة الاحتياج إليه ظاهرة مما تقدم، بل هو رئيس جميع العلوم الدينية لكونها مأخوذة من الكتاب و هي تحتاج من حيث الثبوت أو من حيث الاعتداد إلى علم التفسير"،(٢) وقال السيوطي: "صناعة التفسير قد حازت الشرف من الجهات الثلاث، أما من جهة الموضوع فلأن موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه، و أما من جهة الغرض فلأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى و الوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تفنى، وأما من جهة شدة الحاجة

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١ / ٢١ .

(٢) ينظر : روح المعاني ١/٥.

إليه فلأن كل كمال ديني أو دنيوي عاجلي أو آجلي مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية، و هي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى". [1]

وإن القارئ في سير سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى ليرى منهم عناية فائقة بتفسير القرآن وفهم معانيه والعلم بأحكامه، وكانوا يتحدثون بنعمة الله عليهم ومنته أن وفقهم للعلم بكتابه وفهم المراد منه، مع حرصهم على طلب المزيد من معارفه وعلومه والفقه بأحكامه ومسائله، يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه:"والله ما نزلت من آية إلا وقد علمت فيم أنزلت وأين نزلت، وإن ربي وهب لي قلباً عقولاً و لساناً سؤولا"، [2] وعن أبي الطفيل عامر بن واثلة الليثي [ت ١١٠هـ] رضي الله عنه قال: " شهدت علياً يخطب وهو يقول: سلوني، فالله لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلا حدثتكم به، وسلوني عن كتاب الله، فالله ما منه آية إلا وأنا أعلم بليل نزلت أم بنهار، أم بسهل نزلت أم بجبل"، [3] وروي مثل هذا عن غيره من الصحابة، كعبد الله بن مسعود رضي الله عنه، روى البخاري عنه أنه قال: "والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن أنزلت، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه". [1]

---

(١) ينظر : الإتقان ١ / ١١٩٥ – ١١٩٦.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١/٦٧ – ٦٨.

(٣) ينظر: جامع بيان العلم وفضله ١/١٣٨، الإتقان ٢/١٢٢٧.

(٤) رواه البخاري في صحيحه – كتاب فضائل القرآن – باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ٩/ ٤٧ برقم ٥٠٠٢، ورواه مسلم في صحيحه –كتاب فضائل الصحابة – باب من فضائل ابن مسعود وأمه ١٦/١٧.

ومما روي عن التابعين في هذا قول قتادة بن دعامة السدوسي رحمه الله تعالى: " ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئاً "،[1] وعن مجاهد بن جبير رحمـــه الله تعالى قال:" استفرغ علمي القرآن " و في رواية "استفرغ علمي التفسير "[2].

وكانوا رحمهم الله تعالى يقدمون العلم بالقرآن والعناية بتفسيره وفهم أوامره ونواهيه والعلم بحلاله وحرامه على غيره من العلوم الأخرى، بل كانوا يقدمونه على الإكثار من حفظه و تلاوته، يحكي حال أصحاب نبينا صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيقول: "لقد عشنا دهـــراً طـــويلاً وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، فتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم، فيتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها وما ينبغي أن يقف عنده منها، ثم لقد رأيت رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين فاتحة الكتـــاب إلى خاتمته، لا يدري ما آمره و لا زاجره، ولا ما ينبغي أن يقف عنده منه، ينثـــره نثر الدقل"،[3] لذا فقد روي عنه أنه تعلم البقرة في اثنتي عشرة ســـنة، فلمـــا ختمها نحر جزوراً شكراً لله.[4]

وروي أيضاً عن ابنه عبد الله أنه مكث على سورة البقرة ثماني ســـنين يتعلمها، وكان يقول: " كان الفاضل من أصحاب رسول الله صلى الله عليـــه وسلم في صدر هذه الأمة لا يحفظ من القرآن إلا السورة أو نحوها، ورزقـــوا العمل بالقرآن، وإن آخر هذه الأمة يقرؤون القرآن، منهم الصـــبي والأعمـــى

---

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء ٥/٢٧١.

(٢) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٤٤، سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٥٢ .

(٣) ينظر : إحياء علوم الدين ١/٥٠٠.

(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ١/٤٠.

ولا يرزقون العمل"،[1] وكيف يرزقون العمل به و هم جاهلون بأحكامه و معرفة أوامره ونواهيه، ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة، يقول أنس رضي الله عنه: " كان الرجل إذا قرأ البقرة و آل عمران جل في أعيننا "[2] .

وقد سار على هذا المنهج الراشد التابعون بإحسان، مما تلقوه عن مشايخهم ومعلميهم من الصحابة رضي الله عنهم، يقول أبو عبد الرحمن السلمي: " كنا إذا تعلمنا عشر آيات لم نتعلم العشر التي بعدها حتى نتعلم حلالها وحرامها وأمرها ونهيها "[3]

وإذا كان الإمام المقرئ خلف بن هشام البزار [ت ٢٢٩هـ] يعتب على أهل زمانه عدم العناية بفهم القرآن ومعرفة تفسيره فكيف الحال بمن بعده، يقول رحمه الله: " ما أظن القرآن إلا عارية في أيدينا، وذلك أنا رَوَينا أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه حفظ البقرة في بضع عشرة سنة، فلما حفظها نحر جزوراً شكراً لله، و إن الغلام في دهرنا هذا يجلس بين يدي فيقرأ ثلث القرآن لا يسقط منه حرفاً، فما أحسب القرآن إلا عارية في أيدينا "[4] .

و لم يكونوا رحمهم الله تعالى على درجة واحدة في العلم بمعاني القرآن وتفسيره وفقه أحكامه، بل كانوا متفاوتين في الفهم والعلم، بل قد يشكل على أحدهم من معاني الآيات ما قد ظهر للآخر، وقد يفهم أحدهم من الآية معنى صحيحاً خفي على صاحبه، وذلك راجع إلى تفاوتهم في قوة الفهم ودقة

---

(١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ١/٤٠ ، الإتقان ٤/١٧٦.

(٢) ينظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميه ١٣/٣٣١.

(٣) ينظر المصنف ٣/٣٨٠ ، الجامع لأحكام القرآن ١ / ٣٩ .

(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ١/٤.

الاستنباط، ومعرفة ما أحاط بالقرآن حال نزوله وسعة الاطلاع على لغة العرب والإلمام بغريبها وغير ذلك .

وقد حكى لنا تلاميذهم هـذا التفـاوت الـذي رأوه في أفهـامهم وعلومهم، وكذا الحال فيمن بعدهم، يقول مسروق: " جالست أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فوجدهم كالإخاذ يروي الرجـل، والإخـاذ يـروي الرجلين، و الإخاذ يروي المائة، و الإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصـدرهم، فوجدت عبد الله من ذلك الإخاذ"،[1] وقد اشتهر بالتفسير منهم جماعة، وكان لبعضهم مدارس لها تلاميذها وخصائصها ومناهجها، يقول شيخ الإسلام أحمد ابن عبد الحليم بن تيمية [ت ٧٢٨هـ] رحمه الله تعالى: " وأما التفسير فأعلم الناس به أهل مكة لأنهم أصحاب ابن عباس كمجاهد وعطاء بـن أبي ربـاح وعكرمة مولى ابن عباس وغيرهم من أصحاب ابن عبـاس كطـاوس وأبي الشعثاء وسعيد بن جبير و أمثالهم، وكذلك أهل الكوفة من أصـحاب ابـن مسعود، ومن ذلك ما تميزوا به على غيرهم، و علماء أهل المدينة في التفسـير مثل: زيد بن أسلم الذي أخذ عنه مالك التفسير، وأخذ عنه أيضاً ابنـه عبـد الرحمن، و أخذه عن عبد الرحمن عبد الله بن وهب ". [2]

وقد عد السيوطي في كتابه الإتقان [3] من اشـتهر بالتفسـير مـن الصحابة، الذين قالوا في القرآن بما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسـلم وبما فتح الله عليهم عن طريق الاجتهاد حسب أدوات الفهم و العلـم الـتي

---

(١) سبق تخريجه، و انظر: التفسير و المفسرون ١/٣٤ -٣٥ بتصرف.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميه ١٣/٣٤٧.

(٣) ينظر : الإتقان ٢/١٢٢٧.

توفرت لهم فسمى منهم الخلفاء الأربعة الراشدين وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبا موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم.

وهناك من تكلم في التفسير من الصحابة غير هؤلاء، غير أن ما نقل عنهم في التفسير قليل جداً، كما أن العشرة الذين اشتهروا بالتفسير تفاوتوا قلةً وكثرة .

و أشهر الجميع اثنان عبد الله بن مسعود و عبد الله بن عباس، اللذان كثر المروي عنهما في التفسير، والتف حولهما طلاب كثير أفادوا منهما العلم بالكتاب والسنة والفقه فيهما، لذا فقد كثر الثناء عليهما بذلك، يقول أبو موسى الأشعري " لا تسألونا عن شيء ما دام هذا الحبر بين أظهرنا من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم"(١) يعني: ابن مسعود، وعلل ذلك في رواية عنه بقوله: "إن كان ليؤذن له إذا حجبنا، و يشهد إذا غبنا"(٢) وقال أبو البختري سعيد بن فيروز الطائي مولاهم [ت ٨٣ هـ] "قالوا لعلي: أخبرنا عن ابن مسعود، فقال: علم القرآن و السنة ثم انتهى، وكفى بذلك علماً"(٣)، و قال عقبه بن عامر: "ما أدرى أحداً أعلم بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم من عبد الله " فقال أبو موسى: " إن تقل ذلك، فإنه كان يسمع حين لا نسمع، ويدخل حين لا ندخل".(٤)

---

(١) ينظر : حلية الأولياء ١٢٩/١ ، طبقات ابن سعد ٣٤٣/٢.

(٢) رواه مسلم في صحيحه –كتاب فضائل الصحابة – باب من فضائل عبد الله بن مسعود و أمه ١٥/١٦ .

(٣) رواه الحاكم في المستدرك ٣١٨/٣ و صححه و وافقه الذهبي ، و رواه أبو نعيم في الحلية ١٢٩/١.

(٤) ينظر : التفسير و المفسرون ٨٦/١

أما ابن عباس فحبر الأمة وترجمان القرآن، كثر الثناء عليه من الصحابة وطلابه، كان عمر رضي الله عنه يجلسه في مجالسه مع كبار الصحابة ويقربــه ويدنيه، كان يقول فيه: "ذاكم فتى الكهول، له لسان سؤول وقلب عقول"،[1] وقال سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه: "ما رأيت أحداً أحضر فهمــاً و لا ألبّ لباً ولا أكثر علماً ولا أوسع حلماً من ابن عباس، لقد رأيت عمر يدعوه للمعضلات، فيقول: قد جاءت معضلة، ثم لا يجاوز قوله، وإن حوله لأهل بدر من المهاجرين والأنصار"[2]

و قال طلحة بن عبيد الله التيمى [ت ٣٦ هــ]: "لقد أعطــي ابــن عباس فهماً ولَقَناً وعلماً، ما كنت أرى عمر يقدم عليه أحداً "[3] وقال عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه: "نعم ترجمان القرآن ابن عباس "،[4] وقال تلميــذه مجاهد " كان ابن عباس يسمى البحر من كثرة علمه" [5]، وقال طاوس: "مــا رأيت أورع من ابن عمر ولا أعلم من ابن عباس "،[6] وقال أيضاً: " أدركت نحواً من خمسمائة من الصحــابة إذا ذاكروا ابن عبــاس فخــالفوه، لم يــزل يقررهــم حتى ينتهــوا إلى قوله "،[7]وقال مسروق: "كنت إذا رأيــت ابــن

---

(١) ينظر : حلية الأولياء ٣١٨/١ ، مجمع الزوائد ٢٧٧/٩ ، المستدرك ٥٣٩/٣ – ٥٤٠.

(٢) ينظر : طبقات ابن سعد ٣٦٩/٢، سير أعلام النبلاء ٣٤٧/٣.

(٣) ينظر : طبقات ابن سعد ٣٧٠/٢، سيرة أعلام النبلاء ٣٤٧/٣.

(٤) ينظر : طبقات ابن سعد ٣٦٦/٢، تفسير الطبري ٩٠/١ ،المستدرك ٥٣٧/٣.

(٥) ينظر : طبقات ابن سعد ٣٦٦/٢، حلية الأولياء ٣١٦/١ ، المستدرك ٥٣٥/٣.

(٦) ينظر : طبقات ابن سعد ٣٦٦/٢ ، سير أعلام النبلاء ٣٥٠/٣.

(٧) ينظر : طبقات ابن سعد ٣٦٧/٢ ،سير أعلام النبلاء ٣٥١/٣.

عباس قلت أجمل الناس، فإذا نطق قلت أفصح الناس، فإذا تحدث قلت أعلـــم الناس".[1]

وكانت مجالسه مجالس علم وفقه ولغة وشعر، ينهل منها من رام العلم، ويصدر عنها من طلب المعرفة في أي علم، ومن ذلك تفسير القرآن، حـــدث بذلك من رأى مجالسه وإقبال الناس عليها وإفادتهم منها، يقول عطـــاء: "مـــا رأيت أكرم من مجلس ابن عباس، أصحاب الفقه عنده وأصحاب القرآن عنده، وأصحاب الشعر عنده، يصدرهم كلهم من واد واسع"،[2] وقال عبيد الله بـــن عبد الله بن عتبة الهذلي [ت ٩٤ هـــ]: "كان ابن عباس قد فات الناس بخصال، بعلم ما سبقه وفقه ما احتيج إليه من رأيه، وحلم ونسب وتأويل، وما رأيـــت أحداً أعلم بما سبقه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم منه، ولا بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان منه، ولا أفقه في رأي منه، ولا أعلم بشعر ولا عربيـــة ولا بتفسير القرآن ولا بحساب ولا بفريضة منه،و لا أعلم بما مضى ولا أثقب رأياً فيما احتيج إليه منه، ولقد كان يجلس يوماً ولا يذكر فيه إلا الفقه، ويوماً التأويل و يوماً المغازي ويوماً الشعر ويوماً أيام العرب، و لا رأيت عالماً قـــط جلس إليه إلا خضع له، وما رأيت سائلاً قط سأله إلا وجد عنده علماً".[3]

وعن أبي صالح باذام مولى أم هانئ قال: "لقد رأيت من ابـــن عبـــاس مجلساً لو أن جميع قريش فخرت به لكان لها فخراً، لقد رأيت الناس اجتمعـــوا حتى ضاق بهم الطريق، فما كان أحد يقدر على أن يجيء ولا أن يذهب، قال فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم على بابه، فقال لي:ضع لي وضوءاً، قال فتوضـــأ

(١) ينظر : سير أعلام النبلاء ٣٥١/٣،الإصابة ٣٢٥/٢.

(٢) ينظر : الإصابة ٣٣٢/٢.

(٣) ينظر : طبقات ابن سعد ٣٦٨/٢ ، سير أعلام النبلاء ٣٥٠/٣ ، أسد الغابة ١٨٨/٣.

وجلس وقال: اخرج وقل لهم من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه وما أراد منه فليدخل، قال: فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجـــرة فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثل ما سألوه عنه أو أكثر، ثم قال: إخوانكم، فخرجوا. ثم قال: اخرج فقل من أراد أن يسأل عن تفسير القـــرآن وتأويله فليدخل، قال: فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملؤوا البيت و الحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثل ما سألوه عنه أو أكثر، ثم قال إخوانكم، فخرجوا.

ثم قال: اخرج فقل لهم من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقـــه فليدخل، فخرجت فقلت لهم، قال:فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة، فمـــا سألوه عن شيء إلا أخـــبرهم بـــه وزادهـــم مثلـــه، ثم قـــال: إخـــوانكم، فخرجوا..."[1]إلخ.

وعن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: "خطبنا ابن عباس وهـــو علـــى الموسم، فافتتح سورة البقرة، فجعل يقرأ ويفسر، فجعلت أقول: ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثله، لو سمعته فارس و الروم لأسلمت".[2]

وخير ما يقال فيه ما قاله ابن عمر رضى الله عنهما " ابن عباس أعلـــم أمة محمد صلى الله عليه و سلم بما نزل على محمد صلى الله عليه و سلم".[3]

و لم يكن العلم بتفسير القرآن ومعرفة أحكامه مقصوراً على الرجال بل شاركهم في ذلك النساء، وممن اشتهر منهن بذلك عائشـــة بنـــت أبي بكـــر الصديق رضي الله عنهما، حدث بذلك ابن أختها عروة بن الزبير، وهو ممـــن

---

(١) ينظر : حلية الأولياء ١/٣٢٠ –٣٢١.

(٢) ينظر : تفسير الطبري ١/٨٢، حلية الأولياء ١/٣٢٢ ، سير أعلام النبلاء ٣/٣٥١ .

(٣) ينظر : تهذيب التهذيب ٥/٢٧٨.

أكثر الرواية عنها بقوله: "لقد صحبت عائشة فما رأيت أحداً قط كان أعلم بآية أنزلت ولا بفريضة ولا بسنة ولا بشعر ولا أروى له ولا بيوم من أيام العرب ولا بنسب ولا بقضاء ولا بطب منها، فقلت لها: يا خالة الطب من أين علمته؟ فقالت: كنت أمرض فينعت لي الشيء، ويمرض المريض فينعت له، وأسمع الناس ينعت بعضهم لبعض فأحفظه "،[1] وقد روت عن النبي صلى الله عليه و سلم علماً كثيراً، وحفظت من سنته ما خفي على بعض الصحابة، يقول أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه: " ما أشكل علينا -أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم- حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً "[2].

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يرون في تعليم الناس تفسير كلام الله سبحانه ومعرفة معانيه عملاً صالحاً يتقربون به إلى الله عز وجل، ويحمدون الله أن هداهم لذلك و أعانهم عليه، وهذا دليل على محبتهم للناس الخير، وأعظمه وأنفعه العلم بكتاب الله عز و جل و تفسيره، عن عبد الله بن بريدة قال: " شتم رجلاً عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، فقال: أما إنك تشتمني و في ثلاث خلال: إني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل فأفرح و علي ألا أقاضي إليه أبداً، وأني لأسمع بالغيث يصيب البلد من بلدان المسلمين فأفرح به، و ما لي به سائمة، و إني لآتي على الآية من كتاب الله فأود أن الناس كلهم يعلمون منها ما أعلم".[3]

---

(١) ينظر : حلية الأولياء ٤٩/٢ -٥٠، سير أعلام النبلاء ١٨٣/٢.

(٢) رواه الترمذي في سننه -كتاب المناقب - باب فضل عائشة رضي الله عنها ٧٠٥/٥ برقم ٣٨٨٣ وقال: "حسن صحيح".

(٣) ينظر : فضائل القرآن لأبي عبيد ٤٥ ، حلية الأولياء ٣٢٢/١ ، مجمع الزوائد ٢٨٤/٩.

وقد حرصوا رحمهم الله تعالى على بيان ما أشكل على طلابهم وغيرهم من فهم بعض الآيات و إيضاح ما خفي عليهم من معانيها، وبيان ما تدل عليه الآية وغيرها مما يشبهها، ومن أمثلة ذلك ما رواه البخـــاري عن سعيـــد بن جبير أن رجلاً[1] قال لابن عـــباس رضي الله عنهما:" إني أجـــد في القرآن أشـــياء تختلف علي، قال: ﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾[2] ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴾[3] ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾[4] ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾[5] فقد كتموا في هذه الآية، وقال: ﴿ أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴾، إلى قوله: ﴿ دَحَىٰهَآ ﴾[6] فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض، ثم قال:﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ ﴾ إلى قوله:﴿ طَآئِعِينَ ﴾[7] فذكر في هذه خلق الأرض قبل السماء، و قال تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾،[8] ﴿ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾،[9] ﴿ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [10] فكأنه كان ثم مضى.

(١) رجح الحافظ في الفتح ٨/٥٥٧ أنه نافع بن الأزرق .

(٢) سورة المؤمنون، من الآية ١٠١ .

(٣) سورة الصافات، الآية ٢٧ ، سورة الطور الآية ٢٥.

(٤) سورة النساء من الآية ٤٢.

(٥) سورة الأنعام من الآية ٢٣.

(٦) سورة النازعات من الآيات ٢٧-٣٠ .

(٧) سورة فصلت الآيات ٩-١١.

(٨) سورة النساء من الآية ٩٦ و غير ذلك.

(٩) سورة النساء من الآية ٥٦ و غير ذلك.

(١٠) سورة النساء من الآية ٥٨ و غير ذلك.

فقال رضي الله عنه: **﴿فلا أنساب بينهم﴾** في النفخة الأولى، ثم ينفخ في الصور فصعق من في السموات و من في الأرض إلا من شاء الله، فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون،ثم في النفخة الآخرة **﴿أقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾**، وأما قوله **﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾**، **﴿و لا يكتمون الله حديثا﴾**، فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم، وقال المشركون تعالوا نقول: لم نكن مشركين،فختم على أفواههم فتنطق أيديهم، فعند ذلك عرف أن الله لا يكتم حديثاً، وعنده **﴿يود الذين كفروا﴾** الآية، وخلق الأرض في يومين ثم خلق السماء ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين ثم دحا الأرض، ودحوها: أن أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والجمال والآكام وما بينهما في يومين آخرين، فذلك قوله: **﴿دحاها﴾** وقوله: **﴿خلق الأرض في يومين﴾**، فجعلت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام، وخلقت السموات في يومين، **﴿وكان الله غفوراً﴾**، سمى نفسه ذلك، وذلك قوله، أي: لم يزل كذلك،فإن الله لم يرد شيئاً إلا أصاب به الذي أراد،فلا يختلف عليك القرآن،فإن كلاً من عند الله".[1]

ومن الأمثلة أيضاً أن رجلاً جاء إلى أبي بن كعب رضي الله عنه فقال: يا أبا المنذر آية في القرآن قد أغمتني، قال: أيّ آية؟ قال: **﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾**[2]، قال: ذاك العبد المؤمن ما أصابته من نكبة مصيبة

---

(١) رواه البخاري في صحيحه –كتاب التفسير–تفسير سورة فصلت ٨/٥٥٥-٥٥٦ .

(٢) سورة النساء من الآية ١٢٣.

فيصبر فيلقى الله تعالى فلا ذنب له"،[1] و يقول أبو العالية "كان أبـــي صاحب عبادة فلما احتاج الناس إليه ترك العبادة وجلس للقوم" [2] .

ثم حمل الراية من بعد الصحابة تلاميذهم من التابعين لهم بإحسان، بعد أن تلقوا العلم على أيديهم بطول الملازمة والصبر علي التحصيل وبذل الجهـــد وتحمل المشاق فيه والرحلة من أجله، إلى غير ذلك من صور حرصهم رحمهم الله تعالى علي طلب العلم وروايته وشرف التتلمذ على أيدي الصحابة رضـــي الله عنهم، الذين أقبلوا عليهم وأفادوهم العلم بالقرآن والسنة، وجعلوا أوقاتهم مبذولة للعلم وأهله رخيصة من أجله، مع الصبر والتحمل على تعليمهم، يقول أبو الجوزاء أوس بن عبد الله الربعي البصرى: "جاورت ابن عباس اثنتي عشرة سنة في داره، وما من القرآن آية إلا وقد سألته عنها، وكان رسولي يختلف إلى أم المؤمنين – يعني عائشة – غدوة و عشية"، ويقول الإمام المفسر مجاهد بـــن جبر: " عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة"، وفي رواية قال: "عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات، أقف عند كل آية، أسأله فيم نزلـــت وكيف كانت ؟"، و عن ابن أبي مليكه قال: "رأيت مجاهداً سأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه، فقال ابن عباس اكتب، حتى سأله عـــن التفســـير كله"،[3] قال بعض المتأخرين: "ولا تعارض بين هذه الروايات، فإن الإخبـــار بالقليل لا ينافي الإخبار بالكثير، ولعله عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة

---

(١) ينظر : حلية الأولياء ٢٥٤/١ ، تفسير الطبري ٢٣٦/٩، الدر المنثور ٤٠٢/٢.

(٢) ينظر : سير أعلام النبلاء ٣٩٩/١.

(٣) سبق تخريج هذه الآثار.

لتمام الضبط ودقة التجويد وحسن الأداء، وعرضه بعد ذلك ثلاث مرات طلباً للتفسير ومعرفة ما دق من معانيه وما أشكل عليه ".[1]

ومن صور ملازمتهم مجالس الصحابة طلباً للعلم والإفادة منهم ما جاء في سيرة الإمام المفسر عكرمة مولى ابن عباس الذي لازمه مدة حياته، وحدث عن غيره من الصحابة رضي الله عنهم، يقول رحمه الله تعالى: " أدركت مائتين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا المسجد يعني: المسجد النبوي، وقال أيضاً: "كان ابن عباس يجعل في رجلي الكَبْل، ويعلمني القرآن والسنن "،[2] و قال أيضاً: " طلبت العلم أربعين سنة، وكنت أفتي بالباب وابن عباس في الدار"،[3] ولا غرو أن ملازمته مولاه ابن عباس ينهل من معينه الفياض ويأخذ عنه العلم والتفسير جعلته بعد توفيق الله عز وجل إماماً في التفسير والعلم بأحكام القرآن، يقول عبد الرحمن بن أبي حاتم [ت ٣٢٧هـ]: سئل أبي عن عكرمة وسعيد بن جبير أيها أعلم بالتفسير؟ فقال: أصحاب ابن عباس عيال على عكرمة "،[4] و قال الشعبي: " ما بقي أحد أعلم بكتاب الله تعالى من عكرمة "،[5]وقال قتادة: "أعلمهم بالتفسير عكرمة".[6]

وممن لازم ابن عباس فأكثر وقرأ عليه القرآن فجود سعيد بن جبير الأسدي مولاهم الكوفي، قال رحمه الله تعالى: " كنت أسمع الحديث من ابن

---

(١) ينظر: التفسير والمفسرون ١/١٠٤.

(٢) سبق تخريجهما.

(٣) سبق تخريجه .

(٤) ينظر : الجرح و التعديل ٩/٧.

(٥) ينظر: سير أعلام النبلاء ١٧/٥.

(٦) ينظر: سير أعلام النبلاء ١٧/٥.

عباس فلو أذن لي لقبلت رأسه"،[1] فورث عنه العلم بـالقرآن والسـنة،وكان يقول: "من قرأ القرآن ثم لم يفسره كان كالأعمى أو كالأعرابي"،[2] وقد كثر ثناء الأئمة عليه ومنهم شيخه، وتلك تزكية عالية وشهادة رفيعة، وكان يقول لأهل الكوفة إذا أتوه يسألونه عن شيء: " أليس فيكم ابن أم الدهماء"،[3] يعني: سعيد بن جبير، ولم تكن معرفته مقتصرة على علم معين بل شملـت معـارف وعلوماً عدة، قال خصيف بن عبد الرحمن الجزري الحراني [ت ١٣٧هـ] كان من أعلم التابعين بالطلاق سعيد بن المسيب، وبالحج عطاء، بالحلال والحـرام طاوس، وبالتفسير أبو الحجاج مجاهد بن جبر، وأجمعهم لذلك كله سعيد بـن جبير "[4] .

وكذا كان تلاميذ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه معه، لازمـوه و تتلمذوا على يديه، فنهلوا من علمه وأفادوا من معارفه، فاشتهر منـهم أئمـة أعلام تكلموا في تفسير القرآن ووضحوا لمعاصريهم معانيه وبينوا لهم أحكامه، منهم علقمة بن قيس، مقرئ الكوفة وعالمها، لازم عبد الله بن مسعود فـرأس في العلم والعمل، وكان شيخه ابن مسعود يعرف ذلك له و يجله لأجله، وقد مر بنا ثناؤه على قراءته لحسن صوته، وكان يقول: " ما أقرأ شيئاً ولا أعلمه إلا علقمة يقرؤه أو يعلمه "،[5] ومنهم الإمام المفسر مسروق بـن الأجـدع الهمداني، لازم ابن مسعود واستفاد منه الكثير وبخاصة في التفسير، حدث عن

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) رواه الطبري في تفسيره ١/٨١.

(٣) ينظر : حلية الأولياء ٤/٢٧٣ ، سير أعلام النبلاء ٤/٣٢٥.

(٤) ينظر : وفيات الأعيان ٢ / ٣٢٧ ، سير أعلام النبلاء ٤ / ٣٤١ .

(٥) سبق تخريجه .

ذلك بقوله: " كان عبد الله – يعني ابن مسعود – يقرأ علينا السورة ثم يحدثنا فيها و يفسرها عامة النهار "،[1] وكان يفضله على بقية الصحابة لعلمه وسعة معارفه، بقوله: "جالست أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فوجدتهم كالإخاذ، فالإخاذ يروي الرجل، والإخاذ يروي الرجلين والإخاذ يروي العشرة، والإخاذ يروي المائة، والإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم، فوجدت عبد الله من ذلك الإخاذ "،[2] وقد كثر ثناء الأئمة عليه بذلك، يقول علي بن عبد الله بن المديني [ت ٢٣٤هـ]"ما أقدم على مسروق من أصحاب عبد الله أحداً "،[3] وقال سفيان بن عيينة الكوفي [ت ١٩٨هـ]:"بقي مسروق بعد علقمة لا يفضل عليه أحد".[4]

وبالجملة فقد كثر الثناء على طلاب ابن مسعود الذين لازموه وأفادوا منه العلم بالقرآن والسنة، وبذلوا جهودهم وأشغلوا أزمانهم في طلب العلم على يديه والتحصيل منه، يقول الشعبي رحمه الله تعالى: " ما رأيت قوماً قط أكثر علماً ولا أعظم حلماً ولا أكف عن الدنيا من أصحاب عبد الله، ولولا ما سبقهم به الصحابة ما قدمنا عليهم أحداً"، وفي رواية قال: "ما رأيت قوماً أعظم أحلاماً ولا أكثر فقهاً ولا أكره لهذه الدنيا من قوم صحبوا عبد الله بن مسعود ولولا الصحابة ما فضلت عليهم أحداً".[5]

ومن صور حرص سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى على طلب تفسير القرآن والكشف عما أشكل عليهم والفقه بأحكامه رحلتهم من أجل ذلك، مع طول

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ١ / ٨١.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٦٦، تهذيب التهذيب ١٠/١١١.

(٤) ينظر: طبقات ابن سعد ٤/٦٧، سير أعلام النبلاء ٤/٦٧، تهذيب التهذيب ١٠/١١٠.

(٥) ينظر: حلية الأولياء ٤/١٧٠.

الطريق ومشقته وما حف به – تلك الأزمنة – من مخاطر ومخاوف، وقد نهج على هذا الصحابة والتابعون لهم بإحسان رحم الله الجميع.

يقول عبد الله بن مسعود " والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن أنزلت، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه"[١] وقال أبو الدرداء عويمر بن مالك رضي الله عنه: " لو أعيتني آية من كتاب الله عز وجل، فلم أجد أحداً يفتحها علي إلا رجلاً ببرك[٢] الغماد لرحلت إليه" [٣].

وقال الشعبي رحمه الله تعالى: " خرج مسروق إلى البصرة إلى رجل يسأله عن آية فلم يجد عنده فيها علماً، فأخبر عن رجل من أهل الشام فقدم عليه ههنا، ثم خرج إلى الشام إلى ذلك الرجل في طلبها"[٤] وكان يقول: "ما علمت أحداً كان أطلب للعلم في أفق من الآفاق من مسروق".[٥]

وروى عن مجاهد قال: "لو أعلم من يفسر لي هذه الآية لضربت إليه أكباد الإبل، قوله:﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ ﴾ إلى آخر الآية [٦] [٧] .

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) سبق بيانه.

(٣) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٤٤ – ٤٥، وسير أعلام النبلاء ٢/٣٤٢.

(٤) ينظر :حلية الأولياء ٢ / ٩٥ ، المحرر الوجيز ١ / ١٥ ، الجامع لأحكام القرآن ١ / ٢٦.

(٥) ينظر : حلية الأولياء ٢ / ٩٥.

(٦) سورة النساء ، من الآية ٢٤.

(٧) رواه الطبري في تفسيره ٨ / ١٦٥ ، وانظر الدر المنثور ٢ / ٢٤٨.

وقال أيوب بن أبي تميمة السختياني [ت ١٣١هـ]: " كنت أريد أن أرحل إلى عكرمة، إلى أفق من الآفاق، فإني لفي سوق البصرة إذ قيل لي: هذا عكرمة، قال: واجتمع الناس إليه فقمت إليه، فما قدرت على شيء أسأله عنه، ذهبت المسائل عني، فقمت إلى جنب حماره،قال: فجعل الناس يسألونه وأنا أحفظ "(١).

وممن رحل في طلب تفسير القرآن والفقه بأحكامه وغير ذلك عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج شيخ الحرم الإمام المفسر، فقد طوف في كثير من البلاد، رحل إلى البصرة وبغداد واليمن ثم لازم عطاء بن أبي رباح بمكة، فروى عنه الكثير في التفسير، ولازمه حتى أتقن على يديه وجود، يسافر والده ويقيم عنده، مغتنماً حياة شيخه المباركة بعلمي الكتاب والسنة، قال رحمه الله تعالى: " أقمت على عطاء إحدى وعشرين حجة – أي سنه –، يخرج أبواي إلى الطائف وأقيم أنا، تخوفاً أن يفجعني عطاء بنفسه "(٢) أي: بموته .

و لم يكن لاجتهادهم رحمهم الله تعالى حد في التحصيل والطلب إلا الموت، فلا يزال أحدهم يطلب العلم ويحضر مجالس أهله ويقرأ في كتبهم حتى يلقى الله عز وجل، يقول مطر الوراق: "مازال قتادة متعلماً حتى مات".(٣)

ومن صور عنايتهم بتفسير القرآن وفهم معانيه والعلم بأحكامه إكرامهم أهل العلم بذلك وإجلال الأئمة فيه، وهم بهذا الصنيع يشحذون الهمم ويقوون العزائم لطلب هذا العلم والتفاني في تحصيله والإقبال عليه بالكلية،

---

(١) ينظر : تهذيب التهذيب ٧ / ٢٦٦.

(٢) سبق تخريجه .

(٣) ينظر: حلية الأولياء ٢ / ٣٣٥ ، سير أعلام النبلاء ٥ / ٢٧٥.

وأوضح مثال على ذلك إكرام عمر ابن عباس رضي الله عنهما مع حداثة سنه، وإدخاله مع الأشياخ في مجلسه، حتى قيل له في ذلك، روى البخاري عن ابن عباس قال: " كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه، فقال: لِـــمَ تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من حيث علمتم، فدعا ذات يوم فأدخله معهم، فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم، قال ما تقولون في قوله: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ ؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أكذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه له، قال: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ﴾، وذلك علامة أجلك، ﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴾، فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول "[١]، وعنه قال: " لا يلومني أحد على حب ابن عباس "[٢] .

و من صور حرصهم على تعلم تفسير القرآن و الحث علـــى معرفـــة أحكامه تعظيم هذا العلم وإجلاله وجعله مقدماً على العلوم كلها، فلا يكـــون أحد عالماً فقيهاً إماماً حتى يعتني به ويقبل عليه، يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه " ألا إن الفقيه كل الفقيه الذي لا يقنط الناس مـــن رحمـــة الله، ولا يؤمنهم من عذاب الله، ولا يرخص لهم في معاصي الله، ولا يدع القرآن رغبة

---

(١) رواه البخاري في صحيحه – كتاب التفسير – باب تفسير قوله " فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا " ٨ / ٧٣٤ – ٧٣٥، برقم ٤٩٧٠.

(٢) ينظر : سير أعلام النبلاء ٣ / ٣٤٦ ، فتح الباري ٨ / ٧٣٦ .

عنه إلى غيره، و لا خير في عبادة لا علم فيها، ولا خير في علم لا فهم فيه، ولا خير في قراءة لا تدبر فيها "[1]، و قال أبو الدرداء رضي الله عنه: " إنـــك لا تفقه الفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً ".[2]

ثم إنه لا يتأتى لشخص أن يفتي في مسألة أو يحكم في قضية وهـــو يجهـــل تفسير القرآن ولا يعرف أحكامه وعلومه المرتبطة به، وهذا يســتوجب معرفتـــها والعناية بها، روى محمد بن سيرين عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه [ت٣٦ هــ] قوله: " إنما يفتي الناس أحد ثلاثة، من يعلم ما نسخ من القرآن، قالوا: ومن يعلم ما نسخ من القرآن؟ قال: عمر، أو أمير لا يجد بداً أو أحمق متكلـــف، ثم قـــال ابـــن سيرين: و لست بواحد من هذين، ولا أحب أن أكون الثالث"[3] .

فعلم الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم من العلوم المهمـــة الجـــديرة بالدراسة والمعرفة، لا يحل لأحد أن يفسر كلام الله عز وجل ولا أن يفتي للناس أو يعلم أحكام الشريعة حتى يعلمه ويتقنه، قال علي رضي الله عنـــه لقـــاص: "أتعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا، قال هلكت و أهلكت "[4]، ولـــذلك قال أهل العلم:"لا يحل لأحد أن يفسر كلام الله ويفتي به حتى يعـــرف منـــه الناسخ والمنسوخ" [5]، وهذا تنبيه على أحد علوم القرآن وبيان أهميته، ومثلـــه القول في وجوب العناية بعلومه الأخرى.

---

(١) ينظر : حلية الأولياء ١ / ٧٧ .

(٢) ينظر : حلية الأولياء ٢١١/١ .

(٣) رواه الدارمي في سننه ، باب الفتيا ١ / ٦٢ ، وانـــظر: نواسخ القرآن ١٠٩، الـــناسخ و المنسوخ ١ / ٤١٥ .

(٤) ينظر: نواسخ القرآن ١٠٥ ، الناسخ و المنسوخ ٤١٠/١ .

(٥) حكاه عنهم السيوطي في الإتقان ٧٠٠/٢.

وقد كان سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى يتواصون بهذا ويناصح بعضهم بعضاً من أجل العناية والاهتمام به، فمن وصايا عبدالله بن عمـــر رضـــي الله عنهما لأبي الشعثاء جابر بن زيد [ت ٨٣هـــ] –وقد لقيه في الطواف– قوله: "يا جابر إنك من فقهاء أهل البصرة، وإنك ستستفتى، فلا تفـــتين إلا بقـــرآن ناطق أو سنة ماضية، فإنك إن فعلت غير ذلك فقد هلكت وأهلكت".(١)

وكانوا رحمهم الله تعالى يتحسرون ويتألمون على ما قد يفوتهم من علومه أو يجهلونه من فهم معانيه وأمثاله، فعن عمرو بن مرة [ت ١١٦هـــ] قال:" إني لأمر بالمثل من كتاب الله عز وجل ولا أعرفه فأغتم به، لقول الله عز وجل:﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴾ (٢)،(٣)

وعن سليم بن رستم قال:" كنت أقرأ على عمرو بن مرة –يعني القرآن– فكنت أسمعه كثيراً ما يقول: اللهم اجعلني ممن يعقل عنك"(٤) وعن سفيان بن عيينة أنه كان يقول: "أكره أن أمر بمثل في القرآن فلا أعرفه، لأن الله تعالى يقول:﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴾ .."(٥).

وقد حرصوا أيضاً على تعلم كل ما يعينهم على فهم القرآن ومعرفـــة تفسيره، ومن ذلك لغة العرب، من حيث غريبها وأساليبها، وقواعدها وسننها

---

(١) ينظر: حلية الأولياء ٨٦/٣.

(٢) سورة العنكبوت، الآية ٤٣.

(٣) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٤٢، تفسير ابن أبي حاتم ٣٠٦٤/٩.

(٤) ينظر: حلية الأولياء ٩٥/٥.

(٥) ينظر: حلية الأولياء ٩٥/٥.

في الكلام، وطرائقها وعاداتها في الخطاب والتعبير، لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين، والعلم بذلك معين على فهم القرآن ومعرفة معانيه.

قال الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي [ت ٧٩٤ هـ]:" واعلم أنه ليس لغير العالم بحقائق اللغة وموضوعاتها تفسير شيء من كلام الله، ولا يكفي في حقه تعلم اليسير منها، فقد يكون اللفظ مشتركاً وهو يعلم أحد المعنيين، والمراد المعنى الآخر" (١).

وقال عبد الحق بن غالب بن عطية [ت ٥٤٦ هـ]:" إعراب القرآن أصل في الشريعة، لأن بذلك تقوم معانيه التي هي الشرع"،(٢) وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:" لابد في تفسير القرآن والحديث من أن يعرف ما يدل عليه مراد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم من الألفاظ وكيف يفهم كلامه، فمعرفة العربية التي خوطبنا بها مما يعين على أن نفقه مراد الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم بكلامه، وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني" (٣).

وقال أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي [ت ٧٤٥ هـ]:" ومع ذلك فاعلم أنه لا يرتقي من علم التفسير ذروته ولا يمتطي منه صهوته إلا من كان متبحراً في علم اللسان، مترقياً منه إلى رتبة الإحسان" (٤).

فمن أسباب نبوغ ابن عباس رضي الله عنهما في التفسير علمه الواسع بلغة العرب وحفظ غريبها وأشعارها ومعرفة أساليبها قال رضي الله عنه:

---

(١) ينظر :البرهان في علوم القرآن، ٢٩٥/١.

(٢) ينظر :المحرر الوجيز ١٤/١.

(٣) ينظر :الإيمان ١١١.

(٤) ينظر :البحر المحيط ٧/١.

"الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب، رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه"،[1] وقال أيضاً:" إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب"[2].

وفي الأمر بتعليم العربية والحث على ذلك والتحذير من التهاون بتعلمها والجهل بها وبيان آثاره السيئة روي عن السلف عدة أقوال، منها قول عمر رضي الله عنه:" عليكم بالتفقه في الدين، والتفهم في العربية وحسن العبارة"[3]، وقال أيضاً:" تعلموا إعراب القرآن كما تعلمون حفظه"[4]،وعن يحيى بن عتيق الطفاوي قال: "قلت للحسن: يا أبا سعيد الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق ويقيم بها قراءته، فقال: حسن يا ابن أخي فتعلمها، فإن الرجل يقرأ الآية فيعيا بوجهها فيهلك فيها"[5]، وقال الإمام مالك بن أنس:" لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالاً"[6].

وقد اشتهر من الأئمة القراء من كانت له عناية بلغة العرب وتوسع في معرفة غريبها وقواعدها وأصولها وأساليبها، كأبي عمرو زبان بن العلاء التميمي، يقول عنه أبو عبيدة معمر بن المثنى [ت ٢١٠هـ]:" كان أعلم الناس بالقراءات والعربية والشعر وأيام العرب"[7]، ومنهم أبو الحسن علي بن

---

(١) ينظر: الإتقان ٣٨٢/١.

(٢) ينظر: الإتقان ٣٨٢/١.

(٣) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٢٠٩، مصنف ابن أبي شيبة ١١٦/٦.

(٤) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٢٠٩، المصنف لابن أبي شيبة عن أبي بن كعب ١١٦/٦.

(٥) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٢٠٩-٢١٠، الإتقان ١٧٩/١.

(٦) ينظر: البرهان في علوم القرآن ١٦٠/٢، الإتقان ٥٧٥/١.

(٧) ينظر: سير أعلام النبلاء ٤٠٨/٦، معرفة القراء الكبار ٦٠.

حمزة الكسائي الأسدي مولاهم الكوفي [ت ١٨٧هـ]، يقول أبو بكر بن الأنباري:" اجتمع فيه أنه كان أعلم الناس بالنحو وواحدهم في الغريب، وأوحدهم في علم القرآن"(١).

ثم جلسوا بعد ذلك يعلمون الناس تفسير القرآن ويبينون لهم معانيه ويجيبون عما أشكل عليهم من فهم آياته، أداء للأمانة التي تحملوها ونصحاً للأمة بتعليم معاني كلام الله عز وجل ومراده منه، مما فيه سعادتهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة، وهو أيضاً من محبة الخير لغيرهم مما أفاء الله عليهم به، وزكاة لما تعلموه وتلقوه، فعن عبد الله بن بريدة قال:" شتم رجل ابن عباس رضي الله عنهما فقال: أما إنك تشتمني وفي ثلاث خلال، إني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل فأفرح وعلي ألا أقاضي إليه أبداً، وإني لأسمع بالغيث يصيب البلد من بلدان المسلمين فأفرح به، وما لي به سائمة، وإني لآتي على الآية من كتاب الله فأود أن الناس كلهم يعلمون منها ما أعلم"(٢).

ولعلهم بصدق نيتهم في طلب العلم نفع الله بهم الناس، قال الوليد بن مسلم الدمشقي [ت ١٩٥هـ]:" سألت الأوزاعي وسعيد بن عبد العزيز وابن جريج لمن طلبتم العلم؟ كلهم يقول: لنفسي، غير ابن جريج فإنه قال: طلبته للناس"(٣).

وبتعليم الناس تفسير كلام الله عز وجل وبيان معناه كان الثناء لأصحاب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال العجلي في مسروق أحد

---

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء ١٣٢/٩، معرفة القراء الكبار٧٤، غاية النهاية ٥٣٨/١.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء ٣٢٨/٦.

تلاميذ ابن مسعود:" كان أحد أصحاب عبد الله الذين يقرؤون ويفتون"[1]، وقال إبراهيم النخعي:" كان أصحاب عبد الله الذين يفتون ويقرؤون القرآن علقمة بن قيس ومسروق وعبيدة السلماني وعمرو بن شرحبيل والحارث بن قيس"[2]، قدوتهم في ذلك شيخهم ومعلمهم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، الذي ذكر مسروق أنه كان يقرأ عليهم السورة ثم يحدثهم فيها ويفسرها عامة النهار[3].

ومع اجتهاد سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى وعنايتهم بفهم كلام الله عز وجل والعلم بأحكامه وتفسير آياته، تعلماً وتعليماً، تأليفاً وتصنيفاً فقد كانوا يعظمون القول في تفسيره ويتحرجون من الخوض في آياته بلا علم،وينكرون على من تجاوز ذلك وأقحم عقله بلا دليل، يتلقى هذا المنهج اللاحق عن السابق، فعن ابن أبي مليكة:" أن ابن عباس سئل عن آية لو سئل عنها بعضكم لقال فيها، فأبى أن يقول فيها"[4]، وعن يزيد بن أبي يزيد الضبعي [ت ١٣٠هـ]قال:" كنا نسأل سعيد بن المسيب عن الحلال والحرام، وكان أعلم الناس، فإذا سألناه عن تفسير آية من القرآن سكت كأن لم يسمع"[5]، وكان يقول إذا سئل عن تفسير آية من القرآن:" إنا لا نقول في القرآن شيئاً"[6]، وعن هشام بن عروة بن الزبير [ت١٤٥هـ] قال:" ما سمعت أبي

---

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء ٦٧/٤، تهذيب التهذيب ١١١/١٠.

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء ٦٥/٤.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) ينظر: تفسير الطبري ٨٦/١، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٣٧٢/١٣.

(٥) ينظر: تفسير الطبري ٨٦/١.

(٦) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٢٢٨، تفسير الطبري ٨٥/١،مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٧٣/١٣.

يتناول آية من كتاب الله قط"[1]، وعن محمد بن سيرين قال:" سألت عبيدة -بن عمرو السلماني [ت ٧٢هـ]- عن شيء من القرآن، فقال: اتق الله وعليك بالسداد، فقد ذهب الذين يعلمون فيم أنزل القرآن"[2]، وعن مسروق قال:"اتقوا التفسير فإنما هو الرواية عن الله"[3].

وقد كان على هذه الطريقة جماعة من فقهاء المدينة، يقول عبيد الله بن عمر المدني [ت ١٤٠هـ]:" لقد أدركت فقهاء المدينة وإنهم ليعظمون القول في التفسير، منهم سالم بن عبيد الله والقاسم بن محمد وسعيد بن المسيب ونافع"[4] يحكي هذا المنهج النخعي عن أصحاب ابن مسعود بقوله:" كان أصحابنا يكرهون تفسير القرآن ويهابونه"[5]، وحكاه الشعبي أيضاً عن أصحاب ابن مسعود وعلي بقوله:" أدركت أصحاب عبد الله وأصحاب علي وليس هم لشيء من العلم أكره منهم لتفسير القرآن"[6]، وعن الشعبي قال:" ثلاث لا أقول فيهن حتى الموت: القرآن والروح والرأي"[7]وعنه قال:" والله ما من آية إلا سألت عنها ولكنها الرواية عن الله"[8]، وكان يمر بأبي صالح باذان فيأخذ بأذنه فيعركها ويقول:" تفسر القرآن وأنت لا تقرأ القرآن"[9].

---

(١) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٢٢٩، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٧٤/١٣.

(٢) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٢٢٩، تفسير الطبري، ٨٦/١ ، المصنف لابن أبي شيبة ١٣٥/٦.

(٣) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٢٢٩.

(٤) ينظر: تفسير الطبري ٨٥/١، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٤٧٣/١٣-٤٧٤.

(٥) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ١٣٦/٦، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٧٤/١٣.

(٦) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ١٣٦/٦.

(٧) ينظر :تفسير الطبري ٨٧/١.

(٨) ينظر :تفسير الطبري ٨٧/١، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٧٤/١٣.

(٩) ينظر :تفسير الطبري٩١/١، تهذيب التهذيب ٤١٧/١.

وقد أجاب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بعد أن نقل جملة من أقوالهم بأن تحرجهم من تفسير القرآن والقول فيه محمول على مالا علم لهم به، أما ما علموه فقد بينوه وعلموه غيرهم، أداءً لأمانة العلم ونصحاً للأمة، قال رحمه الله تعالى:" فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على تحرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به، فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعاً فلا حرج عليه، ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير، ولا منافاة لأنهم تكلموا فيما علموه وسكتوا عما جهلوه، وهذا هو الواجب على كل أحد، فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به، فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعمله، لقوله تعالى: ﴿ **لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ** ﴾[1]، ولما جاء في الحديث المروي من طرق " من سئل علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار"[2] [3].

وقد يكون تركهم القول في تفسير القرآن تورعاً واحتياطاً لأنفســـهم، يقول ابن عطية:"كان جلة من السلف كسعيد بن المسيب وعـــامر الشـــعبي وغيرهما، يعظمون تفسير القرآن ويتوقفون عنه، تورعاً واحتياطاً لأنفسهم، مع

---

(١) سورة آل عمران، من الآية ١٨٧.

(٢) رواه أحمد في المسند ٢/٢٦٣، وأبو داود في سننه – كتاب العلم – باب كراهية منع العلم ٣/٣٢١، برقم ٣٦٥٨، والترمذي في سننه – كتاب العلم – باب ما جاء في كتمان العلم ٥/٢٩، برقم ٢٦٤٩، وقال " حديث حسن"، وابن ماجه في سننه – المقدمة برقم ٢٦١، ١/١٠١-١٠٢، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ١/١٠١-١٠٢ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) ينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ١٣/٣٧٤-٣٧٥.

إدراكهم وتقدمهم، وكان جلة من السلف كثير عددهم يفسرونه، وهم أبقوا على المسلمين في ذلك، رضي الله عنهم"[1].

ويمكن أن يقال بأن إحجام من أحجم عن تفسير بعض آي القرآن أنه لم تكن تتعين عليه الإجابة لوجود من يقوم عنه في تفسير القرآن وإجابة السائل عما أشكل عليه، وقد كان بعضهم يرى أن التفسير شهادة على الله بأنه عـنى باللفظ كذا وكذا، فأمسكوا عنه خشية ألا يوافقوا مراد الله عز وجل.[2]

أما تفسير القرآن بالرأي المحض الذي لا يقوم عليه دليل وليس له برهان فمردود عندهم، لا يفسرون كلام الله به ويحذرون من وقع في ذلك وينكرون عليه، عن إبراهيم التيمي "أن أبا بكر الصديق سئل عن قوله تعالى: ﴿ وَفَـٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾،[3] فقال:" أي سـماء تظلني وأي أرض تقـلني إن أنا قلت في كتاب الله مالا أعلم"[4].

وكانوا بهذا قدوة لغيرهم فلا يقولون في تفسير القرآن إلا بعلم، وما جهلوه سكتوا عنه فلم يخوضوا فيه، يقول ابن أبي مليكة:" سأل رجل ابن عباس عن قوله تعالى:﴿ يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [5]، فقـال له ابن عبـاس:فما ﴿ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾؟[6] فقال الرجل:

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز ١/١٨.

(٢) ينظر: التفسير والمفسرون ١/٢٦١.

(٣) سورة عبس، الآية ٣١.

(٤) رواه ابن أبي شيبة ٦/١٣٦، والطبري في تفسيره، ١/٧٨.

(٥) سورة السجدة، من الآية ٥.

(٦) سورة المعارج، من الآية ٤.

إنما سألتك لتحدثني، فقال ابن عباس:" هما يومان ذكرهما الله في كتابه، الله أعلم بهما، فكره أن يقول في كتاب الله مالا يعلم"[1]،وعن عمرو بن مرة قال قال رجل لسعيد بن جبير: أما رأيت ابن عباس حين سئل عن هذه الآية: ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ فلم يقل فيها شيئاً؟فقال سعيد:كان لا يعلمها"[2].

وقد سار على هذا المنهج التابعون ومن بعدهم بإحسان رحمهم الله جميعاً، روي عن ابنٍ لمجاهد قوله:"قال رجل لأبي أنت الذي تفسر القرآن برأيك؟ فبكى أبي ثم قال:" إني إذاً لجريء، لقد حملت التفسير عن بضعة عشر رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم أجمعين" [3]، وعن عبد العزيز بن رفيع قال:" سئل عطاء عن مسألة، فقال:لا أدري، فقيل له: ألا تقول فيها برأيك؟ قال: إني أستحي من الله أن يدان في الأرض برأيي"[4].

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:" فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام.... عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار"[5]،وعن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"

---

(١) ينظر :فضائل القرآن لأبي عبيد ٢٢٨، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٣٧٢/١٣-٣٧٣.

(٢) رواه الطبري في تفسيره ١٦٥/٨، وانظر: الدر المنثور ٢٤٨/٢.

(٣) ينظر: التفسير والمفسرون ٢٦٠/١، وقد اجتهدت في البحث والسؤال عن اسم هذا الابن فلم أقف عليه.

(٤) ينظر :تهذيب التهذيب ٢٠٢/٧.

(٥) رواه أحمد في المسند ٢٣٣/١، والترمذي في سننه- كتاب تفسير القرآن – باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه ١٩٩/٥، برقم ٢٩٥٠، وقال "حسن صحيح"، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي ٣٥٩، وضعيف الجامع الصغير برقم ٥٧٣٧.

من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ"[1]... ولهذا تحرج جماعة من السلف عن تفسير مالا علم لهم به"[2].

وأختم هذا المبحث بما ذكره الإمام الزركشي من حاجة المفسر إلى التدبر والتأمل في الآيات بعد إزالة الموانع وقطع الشواغل والعوارض، حيث يقول:" واعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي حقيقة ولا يظهر له أسرار العلم من غيب المعرفة وفي قلبه بدعة، أو إصرار على ذنب، أو في قلبه كبر أو هوى، أو حب الدنيا، أو يكون غير متحقق الإيمان، أو ضعيف التحقيق، أو معتمداً على قول مفسر ليس عنده إلا علم بظاهر، أو يكون راجعاً إلى معقوله، وهذه كلها حجب وموانع، وبعضها آكد من بعض.

وإذا كان العبد مصغياً إلى كلام ربه، ملقي السمع وهو شهيد القلب لمعاني صفات مخاطبه، ناظراً إلى قدرته، تاركاً للمعهود من علمه ومعقوله، متبرئاً من حوله وقوته، معظماً للمتكلم، مفتقراً إلى التفهم، بحال مستقيم وقلب سليم، وقوة علم وتمكن سمع لفهم الخطاب، بدعاء وتضرع وابتئاس وتمسكن، وانتظار للفتح عليه من عند الفتاح العليم، وليستعن على ذلك بأن تكون تلاوته على معاني الكلام من الوعد بالتشويق والوعيد بالتخويف، والإنذار بالتشديد، فهذا القارئ أحسن الناس صوتاً بالقرآن، وفي هذا قال تعالى:﴿ **ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ** ﴾[3]، وهذا هو الراسخ في العلم، جعلنا الله من هذا الصنف"[4].

---

(١) رواه أبو داود في سننه -كتاب العلم - باب الكلام في كتاب الله بغير علم ٣/٣٢٠، برقم ٣٦٥٢، والترمذي في سننه -كتاب تفسير القرآن - باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، برقم ٢٩٥٢، ٥/٢٠٠، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي ٣٦٠، والمشكاة ٢٣٥.

(٢) ينظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميه ١٣/٣٧٠-٣٧١.

(٣) سورة البقرة، من الآية ١٢١.

(٤) ينظر: البرهان ٢/١٩٧ بتصرف يسير.

المبحث الخامس: بيانهم نعوت أهل القرآن وعنايتهم بتحقيقها:

إن لأهل القرآن وحملته المعتنين به حفظاً وتلاوة، تعلماً وتعليماً، فهماً لآياته ومعرفة لأحكامه هدياً وسمتاً تميزوا به عن غيرهم من آحاد النـــاس، لمـــا تحملوه من شرف العناية بالقرآن الكريم وصرف الأوقات وبذل الجهود مـــن أجله، فهم أولى الخلق بالخشية والتأثر وإصلاح الظاهر والبـــاطن والتمســـك بالسنة والحذر من البدعة، والتحلي بالأخلاق الفاضـــلة والشـــمائل الكريمـــة والخصال الحميدة، والبعد عن كل خلق ذميم ووصف مشين وحـــال ســـيئة، رعاية لحق القرآن وإكراماً لكلام الله وتوقيراً واحتراماً له، يقول عبد الله بـــن مسعود رضي الله عنه:" إن كل مؤدب يحب أن يؤتى أدبه، وإن أدب الله عـــز وجل القرآن"[1].

وخير المتحلين بخلق القرآن المتأدبين بأدبه نبينا وقدوتنا محمد صلى الله عليه وسلم كما أثنى عليه ربنا جل وعلا ووصفه به، فقـــال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[2]، فهذا من أدلة عظيم قدره ورفعة مترلته عنده عز وجل، حيث شهد له بذلك سبحانه وأثنى به عليه، وانفرد هو عليه الصلاة والسلام بهذا الثناء العظيم والمدح الجليل من الله عز وجل، حيث لا يعرف لغيره مثل هذا الثناء والتبجيل.

(١) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ٥١.

(٢) سورة القلم ، الآية ٤.

وقــد بينت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنهــا كيف كان خلقه عليه الصلاة والسلام فيما رواه الإمام مسلم عن سعد بن هشام بن عامر أنه قال:" يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله صــلى الله عليه وسلم ؟ قالت: ألست تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قالت: فإن خلــق نبي الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن"(١)، وفي رواية عنها قالت:" كان خلقه القرآن، يرضى لرضاه ويسخط لسخطه"(٢) .

قال الإمام النووي :" معناه: العمل به والوقوف عند حدوده والتأدب بآدابه والاعتبار بأمثاله وقصصه وتدبره وحسن تلاوته"(٣)، وقال شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي [ت ١٠٦٩هـ]:" أي: كان صلى الله عليه وســلم متمسكاً بأوامره ونواهيه، وما يشتمل عليه من مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب لا يتعداها، فيرضى بكل ما يرضي الله، ويسخط كل مالا يرضاه، كل ذلك لله لا لحظ نفسه"(٤)، وقال الحافظ ابن كثير في معنى الآية: "معنى هذا: أنه صــلى الله عليه وسلم صار امتثال القرآن أمراً ونهياً سجية له، وخلقاً تطبعه، وتــرك طبعه الجبلي، فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه تركه، هذا مع ما جبلــه الله تعالى عليه من الخلق العظيم، من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم... وكل خلق جميل، كما ثبت في الصحيحين عن أنس رضــي الله عنــه قــال: "خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين، فما قال لي أف قط، ولا

(١) رواه مسلم في صحيحه – كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب صلاة الليل والوتر ٢٦/٦.

(٢) ذكرها السيوطي في الدر المنثور ٢٤٣/٨، وعزاها لابن المنذر وابن مردويه وغيرهما.

(٣) ينظر: شرح صحيح مسلم ٢٦/٦.

(٤) نسيم الرياض شرح الشفاء للقاضي عياض ٤٨١/١.

لشيء فعلته لم فعلته، ولا لشيء لم أفعله ألا فعلته، وكان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً"[1] [2].

فقد كان صلى الله عليه وسلم متحلياً بما في القرآن من مكارم الأخلاق ومحاسن الخصال وجميل الشمائل، متخلياً عما يزجر عنه القرآن من مساوئ الفعال وقبيح الخلال ومرذول الأخلاق.

وهذا من فضل الله عليه وتوفيقه له، فهو الذي رفع قدره وأعلى مترلته، فشرفه بالرسالة والنبوة وخصه من فضله وكرمه وجوده ما لم يعطه أحداً من خلقه، كما قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾[3]، ولم يزده هذا الثناء العظيم والمدح الجليل من الله سبحانه إلا جمالاً وبهاءً وتواضعاً وأخلاقاً على حسن الخلق، ولم يكن كحال البشر الذين إذا مدحوا وأثني عليهم زادهم ذلك كبراً وأشراً وبطراً، أو أنهم لم يقوموا بمقتضى هذا الثناء والإطراء.

ونبينا عليه الصلاة والسلام كان موصوفاً بحسن الخلق قبل بعثته وازداد كمالاً في الأخلاق ورقياً في مراتب الإحسان بعد البعثة ونزول القرآن عليه، حتى صار امتثاله للقرآن والتزامه خلقه وأدبه أكبر دليل على صدق نبوته ورسالته، وخير شاهد على عظمته وفضله وأعظم سبب في إقبال القلوب والنفوس عليه للاقتداء بهديه والتمسك بسنته والسير على نهجه، في حديث عبد

---

(١) رواه مسلم في صحيحه – كتاب الفضائل – باب حسن خلقه صلى الله عليه وسلم ٦٩/١٥ بنحوه.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤٠٢/٤.

(٣) سورة النساء، من الآية ١١٣.

الله بن سلام رضي الله عنه لما رآه أول مرة قال: " فلما تبينت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب" رواه الترمذي وغيره.[1]

وكان مما دعا صلى الله عليه وسلم إليه معلياً قدره ومبيناً شرفه ومؤكداً أهميته حسن الخلق وامتثاله مما دل عليه القرآن الكريم وسنته المطهرة، قال عليه الصلاة والسلام :" إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"رواه مالك وأحمد وغيرهما[2]، فقد حصر عليه الصلاة والسلام مهمة بعثته الشريفة لإتمام مكارم الأخلاق، ليثبت عظمة مكارم الأخلاق وعلو مقامها والاهتمام بها في هذا الدين .

وقد سار على نهج نبينا صلى الله عليه وسلم سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى، حيث أبانوا نعوت أهل القرآن وصفات حملته والواجب عليهم تجاهه، ودعوا إلى العمل به والتحلي بأخلاقه والتزام طريقته والسير على هديه، وبهذا يكون لهم هدي وسمت ليس لغيرهم ممن أعرض عن القرآن، به يُعرفون وعن طريقه يتميزون ويرتفعون، ومما روي عنهم في ذلك قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:" ينبغي لقارئ القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبورعه إذا الناس يخلطون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وبحزنه إذا الناس يفرحون"[3]، وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال:" من جمع القرآن

---

(١) رواه أحمد في المسند ٤٥١/٤، والترمذي في سننه -كتاب القيامة- باب ٤٢ برقم ٢٤٨٥، ٦٥٢/٤ وقال "حديث صحيح".

(٢) رواه مالك في الموطأ - كتاب حسن الخلق- باب ما جاء في حسن الخلق ٩٠٤/٢، وأحمد في المسند ٣٨١/٢، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٤٦٤/١ برقم ٢٣٤٩.

(٣) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ٥٢، وأحمد في الزهد ٢٣٦، وأبو نعيم في الحلية ١٣٠/١.

فقد حمل أمراً عظيماً، وقد استدرج النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى إليه، ولا ينبغي لصاحب القرآن أن يجهل فيمن يجهل وفي جوفه كلام الله عز وجل"، وفي رواية " ولا ينبغي أن يلعب مع من يلعب، ولا يرفث مع من يرفث، ولا يتطل مع من يتطل، ولا يجهل مع من يجهل"[1].

فمن نعوت حملة القرآن والواجب عليهم –كما دلت على ذلك أحوال السلف وأقوالهم– الإكثار من تلاوته والتزود من قراءته، لما في ذلك من الثواب العظيم، والأجر الجزيل المضاعف، وقد سبق بيان ذلك، فكانوا يحافظون على قراءة حزبهم منه، ويقضون ما فاتهم منه ولا يفوتونه، عن عثمان بن عبد الله بن أوس الثقفي عن جده أنه كان في الوفد الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني مالك، فأنزلهم في قبة له في المسجد أو قال: بين المسجد وبين أهله، قال: فكان يأتينا فيحدثنا بعد العشاء وهو قائم، يراوح بين قدميه من طول القيام... قال: فاحتبس علينا ليلة، فقلنا: يا رسول الله لبثت عنا الليلة أكثر مما كنت تلبث، فقال: نعم، طرأ علي حزبي من القرآن، فكرهت أن أخرج من المسجد حتى أقضيه" وفي رواية " فقلنا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه قد حدثنا أنه قد طرأ عليه حزبه من القرآن، فكيف تحزبون القرآن؟ قالوا: نحزبه ثلاث سور وخمس سور وسبع سور وتسع سور وإحدى عشرة سورة وثلاث عشرة سورة، وحزب المفصل ما بين (ق) فأسفل"[2]، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(١) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ٥٣، والحاكم في المستدرك ١/٥٥٢.

(٢) رواه أحمد في المسند ٤/٩، وأبو داود في سننه – كتاب الصلاة- باب تحزيب القرآن ٢/٥٥ برقم ١٣٩٣، وابن ماجه في سننه – أبواب إقامة الصلاة- باب ما جاء في كم يستحب يختم القرآن ١/٢٤٤ برقم ١٣٣٩.

" من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل"[١]، وعنه رضي الله عنه قال: " من فاته حزبه من الليل فقرأه حين تزول الشمس إلى صلاة الظهر فكأنه لم يفته، أو كأنه أدركه"[٢].

وكانوا يقرنون القول بالعمل ويلازمون ما دعوا إليه الناس من تلاوة القرآن والمحافظة على حزهم منه أو يقضونه إن لم يتيسر لهم أداؤه في حينه، يقول عليه الصلاة والسلام:"إن أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قل"[٣]، والأمثلة على هذا في سيرهم كثيرة، يقول عبد الرحمن بن عبدٍ القارئ :" استأذنت على عمر بالهاجرة، فحبسني طويلاً، ثم أذن لي وقال: إني كنت في قضاء وردي"، وعن خيثمة بن عبد الرحمن الجعفي قال: "دخلت على عبد الله ابن عمرو وهو يقرأ في المصحف، فقلت له، فقال: هذا حزبي الذي أقرأ به الليلة"[٤]، وعن عقبة بن عامر قال: "ما تركت حزب سورة من القرآن من ليلتها"، وعن بكار بن محمد السيريني قال: "كان لعبد الله بن عون سبع يقرؤه كل ليلة، فإذا لم يقرأه أتمه بالنهار"، وهذا كان يوصي إخوانه وطلابه حيث يقول: "أحب لكم يا معشر إخواني ثلاثاً، هذا القرآن تتلونه آناء الليل والنهار، ولزوم الجماعة والكف عن أعراض المسلمين"، ويؤكد عبيد بن عمير الليثي

---

(١) رواه مسلم في صحيحه – كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب صلاة الليل والوتر ٢٩/٦.

(٢) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٩٣.

(٣) رواه البخاري في صحيحه – كتاب اللباس- باب الجلوس على الحصير ونحوه ٣١٤/١٠ برقم ٥٨٦١ واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه – كتاب الصيام – باب صيام النبي صلى الله عليه وسلم في غير رمضان ٣٨/٨.

(٤) سبق تخريج هذه الآثار.

[ت ٦٨هـ] هذا الأمر بقوله:"كان يقال لأهل القرآن إذا جاء الشتاء: إن أعظمكم هذا الليل أن تكابدوه وبخلتم بالمال أن تنفقوه وجبنتم عن العدو أن تقاتلوه فأكثروا من ذكر الله عز وجل"(١)، ويحكي إبراهيم النخعي حال سلفنا الصالح في ازديادهم من تلاوة القرآن والمحافظة على حزبهم منه فيقول:" كان أحدهم إذا بقي عليه من حزبه شيء فنشط قرأه بالنهار، أو قرأه من ليلة أخرى، قال: وربما زاد أحدهم"(٢)، وكانوا يجدون في إقبالهم على تلاوة كتاب الله عز وجل لذة وسعادة وراحة وطمأنينة، كما قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾(٣)، يقول أبو زيد معضد العجلي: "لولا ظمأ الهواجر وطول ليل الشتاء ولذاذة التهجد بكتاب الله عز وجل ما باليت أن أكون يعسوباً"(٤).

ثم إن الواجب على أهل القرآن بخاصة والناس بعامة العناية بفهم معانيه والعلم بأحكامه، وتدبر آياته والوقوف على هداياته ودلالاته، قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (٥)، فأهل القرآن حقاً هم أعلم الناس بما دل عليه من الهدى والرشاد، وما تضمنه من شرائع وأحكام، يقول الحسن البصري رحمه الله :" الزموا كتاب الله وتتبعوا

---

(١) ينظر حلية الأولياء ٣/٢٦٧.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سورة الرعد / الآية ٢٨.

(٤) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٦١، حلية الأولياء ٤/١٥٩، واليعسوب: أمير النحل، وقيل: طائر أصغر من الجرادة، ينظر: القاموس "عسب" ١/١٠٤

(٥) سورة (ص) الآية ٢٩.

ما فيه من الأمثال، وكونوا فيه من أهل البصر، ثم قال: رحم الله عبداً عرض نفسه وعمله على كتاب الله، فإن وافق كتاب الله حمد الله وسأله الزيادة، وإن خالف كتاب الله أعتب نفسه ورجع من قريب"(١)، وهذا هو المنهج الذي سار عليه سلف هذه الأمة، يقول عمر رضي الله عنه :" لقد عشنا دهراً طويلاً وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، فتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم فيتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها وما ينبغي أن يقف عنده منها، ثم لقد رأيت رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته، لا يدري ما آمره ولا زاجره، ولا ما ينبغي أن يقف عنده منه، ينثره نثر الدقل"(٢) ويقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:" كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن"(٣)، وأخذ هذا المنهج اللاحق عن السابق منهم، يقول أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي:" حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن، كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما وغيرهما، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً" (٤).

ومن نعوت أهل القرآن والواجب عليهم وعلى غيرهم اتباعه والعمل بما فيه، امتثالاً لأوامره وحذراً من زواجره، تحاكماً إليه وسيراً على طريقه والتزاماً

---

(١) ينظر: أخلاق حملة القرآن ٢٠.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

لمنهجه، وبهذا فسر قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ [١]، أي: يتبعونه حق اتباعه ويعملون به حق عمله، وروي هذا عن جملة من السلف،[٢] وبه فسر قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾.[٣]

ولا ريب أن من يقرأ القرآن ولا يعمل بمقتضاه امتثالاً لأوامره وبعداً عن نواهيه وتطبيقاً لأحكامه والتزاماً بمنهجه يكون شأنه شأن اليهود الذين أبان الله لنا حالهم مع التوراة وشبه موقفهم منها وتعاملهم معها في قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [٤]، قال ابن القيم رحمه الله تعالى:" فقاس سبحانه من حَمّله كتابه ليؤمن به ويتدبره ويعمل به ويدعو إليه ثم خالف ذلك، ولم يحمله إلا على ظهر قلب، فقراءته بغير تدبر ولا تفهم، ولا اتباع ولا تحكيم له وعمل بموجبه كحمار على ظهره زاملة أسفار لا يدري ما فيها، وحظه منها حملها على ظهره ليس إلاّ، فحظه

(١) سورة البقرة ، من الآية ١٢١.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سورة النساء، الآيتان ١٧٤-١٧٥.

(٤) سورة الجمعة ، الآية ٥.

من كتاب الله عز وجل كحظ هذا الحمار من الكتب التي على ظهره، فهذا المثل وإن كان قد ضرب لليهود فهو متناول من حيث المعنى لمن حمل القرآن فترك العمل به و لم يؤد حقه و لم يرعه حق رعايته"[1].

وإذا أمعنا النظر في قوله صلى الله عليه وسلم :" وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه"[2]، اتضح لنا أن الحديث يرغب في تلاوة القرآن الكريم والاجتماع على مدارسته وتعليمه، وفي الوقت نفسه يحث على العمل به ويحذر من الركون والاعتماد على النسب والحسب، ومثله الاعتماد على حفظ القرآن واستظهاره دون تدبر وتأمل أو تمسك وعمل به، فلابد لحاملي القرآن -على وجه الخصوص- من تدبره والعمل بمقتضاه في جميع جوانب حياتهم، وإلا كانوا كمن قال فيهم ابن عباس رضي الله عنهما :" ولو أن حملة القرآن أخذوه بحقه وما ينبغي لأحبهم الله، ولكن طلبوا به الدنيا فأبغضهم الله وهانوا على الناس"[3]، فالقرآن حينئذ لا يحقق لهم هداية ولا يدلهم على سعادة الدارين الدنيا والآخرة.

كيف والله عز وجل يأمر نبيه عليه الصلاة والسلام وأمته باتباع وحيه والعمل بكتابه، قال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾[4]، قال

---

(١) الأمثال في القرآن ٢١٣-٢١٤، وانظر: الجمان في تشبيهات القرآن ٢٦٦.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١/٢٠.

(٤) سورة الأنعام، الآية ١٠٦.

الحافظ ابن كثير:" أي: اقتد به واقتف أثره واعمل به، فإن ما أوحي إليك من ربك هو الحق الذي لا مرية فيه"[1]، وقال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾[2]، قال القرطبي :" أي: اتبعوا ملة الإسلام والقرآن، وأحلوا حلاله وحرموا حرامه، وامتثلوا أمره واجتنبوا نهيه"[3].

وعلى العمل بالقرآن درج سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى يسمعون كلام الله ويستجيبون له كما قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ﴾[4] الآية، يتواصون على طاعته واتباعه والعمل بما فيه، وهذه هي الغاية العظمى من إنزاله وتفضل الله به على هذه الأمة، وهو حال المؤمنين الصادقين، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[5].

وجاء رجل بابنه إلى أبي الدرداء رضي الله عنه فقال: "يا أبا الدرداء إن ابني هذا قد جمع القرآن، فقال أبو الدرداء: اللهم غفراً، إنما جمع القرآن من سمع له وأطاع"[6]، وقال الحسن البصري :" اقرأ القرآن ما نهاك، فـإذا لم ينـهك

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم ١٦٣/٢.

(٢) سورة الأعراف، من الآية ٣.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ١٦١/٧.

(٤) سورة الأنفال، الآية ٢٤.

(٥) سورة النور، الآية ٥١.

(٦) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٦٢، المرشد الوجيز ١٩٤.

فلست تقرؤه"[١]، وقال أيضاً: " إن أولى الناس بهذا القرآن من اتبعه وإن لم يكن يقرؤه"[٢].

ويحكي هذه الحال المباركة مع القرآن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيقول: "كنا صدر هذه الأمة وكان الرجل من خيار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما معه إلا السورة من القرآن أو شبه ذلك، وكان القرآن ثقيلاً عليهم ورزقوا العمل به، وإن آخر هذه الأمة يخفف عليهم القرآن حتى يقرأه الصبي والأعجمي فلا يعملون به"[٣]، وقد أبان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حال هذا الصنف الأخير مع القرآن الكريم، ممن لا يُرى للعمل بالقرآن والتحلي بآدابه أثر عليهم بقوله:" أنزل القرآن عليهم ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملاً، إن أحدهم ليقرأ القرآن من فاتحته إلى خاتمته ما يسقط منه حرفاً، وقد أسقط العمل به"[٤]، وقال الحسن البصري :" إن هذا القرآن قد قرأه عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله، ولم ينالوا الأمر من أوله، قال الله عز وجل: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ ﴾[٥]، أما تدبر آياته: اتباعه والعمل به، أما والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: قد قرأت القرآن كله فما أسقطت منه حرفاً، وقد والله أسقطه كله، ما يرى له القرآن في خلق ولا عمل، حتى إن

---

(١) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٦٣، الزهد للإمام أحمد ٤٠١.

(٢) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٦٣.

(٣) ينظر: أخلاق حملة القرآن ٤٩.

(٤) ينظر: إحياء علو الدين ١/٣٢٤.

(٥) سورة (ص) ، من الآية ٢٩.

أحدهم ليقول: إني لأقرأ السورة في نفس واحد، والله ما هؤلاء بالقراء ولا العلماء ولا الحكماء ولا الورعة، متى كانت القراء تقول مثل هذا؟ لا أكثر الله في الناس مثل هؤلاء"[1].

وفي رواية أخرى عنه ذكر فيها أحوال القراء بقوله:" قراء هذا القرآن ثلاثة رجال: فرجل قرأه فاتخذه بضاعة ونقله من بلد إلى بلد، ورجل قرأه فأقام على حروفه وضيع حدوده، يقول: إني والله لا أسقط من القرآن حرفاً، كثر الله بهم القبور وأخلا منهم الدور، فوالله لهم أشد كبراً من صاحب السرير على سريره، ومن صاحب المنبر على منبره، ورجل قرأه فأسهر ليله وأظمأ نهاره ومنع شهوته، فجثوا في برانسهم وركدوا في محاريبهم، بهم ينفي الله عنا العدو، وبهم يسقينا الله الغيث، وهذا الضرب من القراء أعز من الكبريت الأحمر"[2].

وقد أبان لأهل زمانه حالهم مع القرآن مبيناً حال من سبقهم ممن وفقهم الله تعالى بقوله:" إنكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل، وجعلتم الليل جملاً، فأنتم تركبونه فتقطعون به مراحله، وإن من كان قبلكم رأوه رسائل من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار".[3]

ومن وصاياهم رحمهم الله تعالى باتباع القرآن والعمل بما فيه ما روي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه جمع القراء فبلغوا زهاء ثلاثمائة فوعظهم وقال:" أنتم قراء أهل البلد، فلا يطولن عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم كما قست قلوب أهل الكتاب، إن هذا القرآن كائن لكم أجراً وكائن لكم

---

(١) ينظر: أخلاق حملة القرآن ٥٠، الزهد والرقائق لابن المبارك ٢٧٤، المرشد الوجيز ٢٠٥.

(٢) ينظر: أخلاق حملة القرآن ٦٤-٦٥، المجروحين ١/١٤٨-١٤٩.

(٣) ينظر: إحياء علوم الدين ١/٣٢٤.

وزراً، فاتبعوا القرآن ولا يتبعنكم القرآن، فإنه من اتبع القرآن هبط بـــه علـــى رياض الجنة، ومن تبعه القرآن زخ في قفاه فقذفه في النار"[1]، وجاء رجل إلى أبي بن كعب رضي الله عنه فقال أوصني، فقال:" اتخذ كتاب الله إماماً، وارض به قاضياً وحكماً، فإنه الذي استخلف فيكم رسولكم، شفيع مطاع، وشـــاهد لا يتهم، فيه ذكركم وذكر من قبلكم، وحكم ما بينكم، وخبركم وخبر مـــا بعدكم"[2]، وكان ميمون بن مهران حريصاً على الوصية لأهـــل القـــرآن أن يعملوا به ويصلحوا أحوالهم على نهجه وهديه، قال رحمه الله تعالى:" لو أن أهل القرآن صلحوا لصلح الناس، إن هذا القرآن قد خلق في صدر كثير من الناس، والتمسوا ما سواه من الأحاديث، وإن فيمن يبتغ هذا العلم من يتخذه بضاعة يلتمس بها الدنيا، ومنهم من يريد أن يشار إليه، ومن يريد أن يمـــاري بـــه، وخيرهم من يتعلمه ويطيع الله عز وجل به."[3]

وبالامتثال والتطبيق لما جاء في القرآن وتحقيق العمل بما فيه والتحلي بأخلاقه وآدابه يكون الثناء والتقدير والاحترام لصاحبه، والأمثلة على هذا كثيرة، منها قصة أبي بكر الصديق رضي الله عنه مع ابن أخته مسطح بن أثاثة رضي الله عنه، فقد كان ينفق عليه لفقره وحاجته، فلما خاض في حادثة الإفك وبرأ الله ابنته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أوقف النفقة عليه ومنعه منها، فلما نزل قوله تعالى : ﴿ **وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا**

(١) ينظر: حلية الأولياء ٢٥٧/١.

(٢) ينظر: حلية الأولياء ٢٥٣/١.

(٣) ينظر: حلية الأولياء ٨٣/٤-٨٤.

﴿ تحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1]، أعاد النفقة عليه وقال:" لا جرم، والله لا أمنعه معروفاً كنت أوليه قبل اليوم" وفي رواية " أن أبا بكر كان يضعف له بعد نزول الآية ضعفي ما كان يعطيه"[2].

ومن ذلك قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع عيينة بن حصن الفزاري الذي لما أُدخل عليه قال: هي يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى هم به، فقال الحر بن قيس: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[3]، وإن هذا من الجاهلين، قال ابن عباس رضي الله عنهما:"والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافاً عند كتاب الله"[4].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: " إن معاذ بن جبل كان أمة قانتاً لله حنيفاً، فقيل : إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً، فقال: ما نسيت، هل تدري ما الأمة وما القانت؟ فقلت: الله أعلم، فقال: الأمة الذي يعلم الخير، والقانت المطيع لله، وكان معاذ يعلم الناس الخير، ومطيعاً لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم"[5]،

---

(١) سورة النور، الآية ٢٢.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور ١٦٢/٦-١٦٣، وعزاه لابن المنذر وابن مردويه.

(٣) سورة الأعراف الآية ١٩٩.

(٤) رواه البخاري في صحيحه – كتاب التفسير- باب تفسير قوله تعالى ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ ﴾ لآية ٣٠٤/٨-٣٠٥ برقم ٤٦٤٢.

(٥) ينظر: حلية الأولياء ٢٣٠/١، الدر المثور ١٧٦/٥.

وكان ابن مسعود رضي الله عنه إذا رأى الربيع بن خثيم قال له:" يا أبا يزيد لو رآك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبك وما رأيتك إلا ذكرت المخبتين"[1]، وقد قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[2].

ولا ريب أن العمل بالقرآن والتأدب بآدابه والتحلي بنعوت أهله يحتاج إلى مجاهدة ومصابرة ومحاسبة بعد هذا كله، لقوله عليه الصلاة والسلام: "والقرآن حجة لك أو عليك"[3]، قال الإمام الآجري – بعد أن ذكر جملة من نعوت أهل القرآن وحملته المعتنين به – :"جميع ما ذكرته ينبغي لأهل القرآن أن يتأدبوا به ولا يغفلوا عنه، فإذا انصرفوا عن تلاوة القرآن اعتبروا أنفسهم بالمحاسبة لها، فإن تبينوا منها قبول ما ندبهم إليه مولاهم الكريم مما هو واجب عليهم من أداء فرائضه واجتناب محارمه حمدوه في ذلك وشكروا الله على ما وفقهم له، وإن علموا أن النفوس معرضة عما ندبهم إليه مولاهم الكريم قليلة الاكتراث به استغفروا الله من تقصيرهم، وسألوه النقلة من هذه الحال التي لا تحسن بأهل القرآن ولا يرضاها لهم مولاهم إلى حال يرضاها، فإنه لا يقطع بمن لجأ إليه، ومن كانت هذه حاله وجد منفعة تلاوة القرآن في جميع أموره، وعاد إليه من بركة القرآن كل ما يحب في الدنيا والآخرة"[4].

---

(١) ينظر: حلية الأولياء ٢/١٠٦، الدر المنثور ٦/٤٩.

(٢) سورة الحج، من الآيتين ٣٤-٣٥.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخلاق حملة القرآن ، ٧٦-٧٧.

وعلى هذا كان سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى يحاسبون أنفسهم على العمل بالقرآن ويوبخونها على التقصير ويأطرونها على الخير، متذكرين موقف الحساب أمام الله عز وجل، كان عمر رضي الله عنه يقول:" حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا، فإن اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل"(١)، وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول:" أخوف ما أخاف أن يقال لي يوم القيامة: يا عويمر أعلمت أم جهلت؟ فإن قلت: علمت، لا تبقى آية آمرة أو زاجرة إلا أخذت بفريضتها، الآمرة هل ائتمرت؟ والزاجرة هل ازدجرت؟ وأعوذ بالله من علم لا ينفع ونفس لا تشبع ودعاء لا يسمع"(٢). وقد سبق قول الحسن البصري رحمه الله تعالى:" رحم الله عبداً عرض نفسه وعمله على كتاب الله، فإن وافق كتاب الله حمد الله وسأله الزيادة، وإن خالف كتاب الله أعتب نفسه ورجع من قريب"(٣)، وقال أيضاً:" من أحب أن يعلم ما هو فليعرض نفسه على القرآن"(٤).

ومن نعت أهل القرآن وحالهم رقة قلوبهم وسرعة بكائهم وتأثرهم عند تلاوتهم للقرآن أو سماعه من غيرهم، وهذا حال المؤمنين الخاشعين، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ

---

(١) ينظر: حلية الأولياء ١/٥٢، الزهد للإمام أحمد ١٧٧.

(٢) ينظر: حلية الأولياء ١/٢١٤.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) ينظر: أخلاق حملة القرآن ٢٠، الزهد والرقائق لابن المبارك ١٣.

﴿ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [1]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[2]، وقد أثنى الله تعالى على المؤمنين الذين من وصفهم البكاء عند قراءة القرآن وسماعه فقال عز وجل: ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ [3]، قال ابن عباس: "المراد به القرآن خاصة، وأنهم كانوا يسجدون ويبكون عند تلاوته"[4]، ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسجد عند الآية ويقول:" هذا السجود فأين البكي"[5]، يريد البكاء، وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إن من أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذي إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله" رواه ابن ماجه[6]، ولذلك قال الإمام النووي :" البكاء عند قراءة القرآن صفة العارفين وشعار الصالحين"[7].

قال الإمام الآجري رحمه الله تعالى :" فأحب لمن قرأ القرآن أن يتحزن عند قراءته ويتباكى ويخشع قلبه ويتفكر في الوعد ليستجلب بذلك الحزن، ألم

---

(١) سورة الزمر، الآية ٢٣.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٢.

(٣) سورة مريم ، من الآية ٥٨.

(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ١١/١٢٠.

(٥) رواه الطبري في تفسيره ١٦/٧٣، وابن أبي حاتم في تفسيره ٧/٢٤١٢.

(٦) رواه ابن ماجه في سننه (صحيح سنن ابن ماجه) أبواب إقامة الصلاة والسنة فيها- باب في حسن الصوت بالقرآن ١/٢٢٤ برقم ١١٠١، وصححه الألباني.

(٧) ينظر: التبيان ٦٨.

تسمع إلى ما نعت الله عز وجل من هو بهذه الصفة وأخـــبر بفضلهم، فقال عز وجل: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ الآية، ثم ذم أقواماً استمعوا القرآن فلم تخشع له قلوبهم، فقال عز وجل: ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴾ يعني: لاهين"[1]، وقد روي عن الحسن البصري أنه تلا هذه الآيات ثم قال:" والله إن أكيس القوم في هذا الأمر لمن بكى، فابكوا هذه القلوب، وابكوا هذه الأعمال، فإن الرجل لتبكي عيناه وإنه لقاسي القلب"[2]، ولذلك قال إبراهيم التيـــمي:" من أوتي من العلم مالا يبكيه لخليق ألا يكون أوتي علـــماً، لأن الله نعت العلـــماء" ثم تلا هـــذه الآية ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۝ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ .."[3][4]، قال القرطبي :" هذه مبالغة في صفتهم ومدح لهم، وحق لكل من توسَّم بالعلم وحصَّل منه شيئاً أن يجري إلى هذه المرتبة، فيخشع عند استماع القرآن ويتواضع ويذل"[5].

---

(١) ينظر: أخلاق حملة القرآن ٨١.

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ٤١.

(٣) سورة الإسراء، الآيات ١٠٧-١٠٩.

(٤) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ٤١،وأبو نعيم في الحلية ٥/٨٨.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١٠/٣٤١.

وأرق الناس قلباً وأسرعهم دمعة وأعظمهم تـــأثراً بـــالقرآن الكـــريم رسولنا وقدوتنا صلى الله عليه وسلم، فقد كان أعرف الخلق بالله وأشدهم له خشية، من ذلك ما رواه عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي الـــنبي صلى الله عليه وسلم :" اقرأ علي، قلت يا رسول الله: أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: نعم، إني أحب أن أسمعه من غيري، فقرأت عليه سورة النساء حتى أتيت على هذه الآية﴿ **فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً**﴾ ، قال حسبك الآن، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان"[(١)].

وإذا كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه أفضل الأمة بعد رســـول الله صلى الله عليه وسلم ينعي حاله وحال من لا يبكي عند تلاوة القرآن، لما قدم أهل اليمن في زمنه فسمعوا القرآن جعلوا يبكون، فقال رضي الله عنه:" هكذا كنا، ثم قست القلوب"[(٢)]، فكيف الحال بمن بعده، مع ما عرف عنه من رقـــة القلب وكثرة البكاء عند تلاوة القرآن وفي صلاته، دليل ذلك ما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قـــال في مرضه:"مروا أبا بكر يصلي بالناس، قالت عائشة: قلت إن أبا بكـــر إذا قـــام مقامك لم يسمع الناس من البكاء، فمر عمر فليصل" الحديث، وفي رواية :إن أبا بكر رجل أسيف، إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس"، والأسيف: هو شديد الحزن رقيق القلب،[(٣)]وفي رواية "إن أبا بكر رجل رقيـــق إذا قـــرأ القرآن لا يملك دمعه، فلو أمرت غير أبي بكر"[(٤)].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ٦٤، حلية الأولياء ٣٤/١، المحرر الوجيز ١٢/١.

(٣) ينظر: النهاية في غريب الحديث ٤٨/١.

(٤) ينظر لهذه الروايات: صحيح البخاري - كتاب الأذان – باب حد المريض أن يشهد الجماعة ١٥٢/٢ برقم ٦٦٤، وباب إذا بكى الإمام في الصلاة ٢٠٦/٢، وصحيح مسلم –كتاب الصلاة- باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر ١٤٠/٤.

وهكذا كان الصحابة رضي الله عنهم يتأثرون عند قراءة القـــرآن أو سماعه، رقة في قلوبهم وخشوعاً وخضوعاً عند كلام الله عز وجل مع ما يكون من الوجل والخوف والبكاء، يحكي حالهم علي بن أبي طالب بقولـــه:" لقـــد رأيت أثراً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وســـلم فمـــا أرى أحـــداً يشبههم، والله إن كانوا ليصبحون شعثاً غبراً صفراً، بين أعينهم مثل ركـــب المعزى، قد باتوا يتلون كتاب الله، يراوحون بين أقدامهم وجباههم، إذا ذُكـــر الله مادوا كما تميد الشجرة في يوم ريح، فانهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم، والله لكأن القوم باتوا غافلين"[١]، وعن عبد الله بن عروة بن الزبير رضي الله عنـــه [ت ١٢٠هـــ] قال: قلت لجدتي أسماء-يريد: بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها- :"كيف كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمعوا القرآن؟ قالت: تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم كما نعتهم الله"[٢].

والأمثلة على هذا في سيرهم العطرة كثيرة جداً، فقد كان عمر رضي الله عنه " يمر بالآية فتخنقه، فيبقى في بيته أياماً يُعاد، يحسبونه مريضاً"[٣]، وعن عبيد بن عمير قال:" صلى بنا عمر بن الخطاب صلاة الفجر فافتتح سورة يوسف فقرأها حتى إذا بلغ قوله: ﴿ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾[٤]، بكى حتى انقطع فركع"، وفي رواية :" أنه لما انتهى إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟

(١) ينظر: حلية الأولياء ٧٦/١.

(٢) ينظر: التذكار ٢١١-٢١٢.

(٣) ينظر: الزهد للإمام أحمد ١٧٦، فضائل القرآن لأبي عبيد ٦٤.

(٤) سورة يوسف، من الآية ٨٤.

بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ [1]،بكى حتى سمع نشيجه من وراء الصفوف"[2]، وعن نافع قال:" كان ابن عمر رضي الله تعالى عنه إذا قرأ ﴿ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾[3]، بكى حتى يغلبه البكاء"[4]، وكان إذا افتتح سورة المطففين وبلغ قوله تعالى : ﴿ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[5]، بكى وأكثر البكاء حتى يمتنع من قراءة ما بعدها"[6]، وقال ابن أبي مليكة:" كان ابن عباس يقوم نصف الليل فيقرأ القرآن حرفاً حرفاً، ثم حكى قراءته ﴿ وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٍ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ﴾[7]، قال: ثم بكى حتى سمع له نشيج".[8]

وكان هذا التأثر والبكاء ورقة القلب في نساء الصحابة كما هو في رجالهم، فعن عروة بن الزبير قال:" دخلت على أسماء وهي تصلي، فسمعتها وهي تقرأ هذه الآية ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾[9]، فاستعاذت، وقمت وهي تستعيذ، فلما طال علي أتيت السوق، ثم رجعت وهي في بكائها

(١) سورة يوسف، من الآية ٨٦.

(٢) ينظر: فضائل القرآن الكريم لأبي عبيد ٦٤-٦٥، الدر المنثور ٥٧٣/٤.

(٣) سورة الحديد، من الآية ١٦.

(٤) ينظر: حلية الأولياء ٣٠٥/١.

(٥) سورة المطففين، الآية ٦.

(٦) ينظر: حلية الأولياء ٣٠٥/١، الزهد للإمام أحمد ٢٨٤.

(٧) سورة (ق) الآية ٢١.

(٨) ينظر : التذكار ٢٠٢.

(٩) سورة الطور، الآية ٢٧.

تستعيذ"[1]، وكانت أختها عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها إذا قرأت قوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ [2] تبكي حتى تبلّ خمارها"[3].

وهكذا كان التابعون ومن بعدهم ممن أنعم الله عليهم برقة في قلبه وخوف وخشوع لربه عندما يتلو آياته أو يسمعها من غيره، فمن الرزايا التي يصاب بها العبد قسوة القلب، فلا يلين لموعظة ولا يستجيب لداعي الله، ولا يتأثر لما يراه أو يسمعه من آيات الله عز وجل ونحو ذلك، ولذلك روي عن بعض الصالحين قوله :"ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة قلبه".

والمروي عن التابعين ومن بعدهم من سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى من الأمثلة الدالة على سرعة تأثرهم ورقة قلوبهم وبكائهم عند تلاوة القرآن أو سماعه من غيرهم كثير، فقد يمكث أحدهم قيامه بالليل يردد آية ما يجاوزها، عن عبد الرحمن بن عجلان قال:"بت عند الربيع بن خثيم ذات ليلة فقام يصلي، فمر بهذه الآية: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [4]،فمكث ليلته حتى أصبح، ما جاوز هذه الآية إلى غيرها ببكاءٍ شديد"[5]، وعن عبد الله بن رباح قال:" كان صفوان بن مُحْرز

---

(١) ينظر: حلية الأولياء ٢/٥٥، الدر المنثور ٧/٦٣٥.

(٢) سورة الأحزاب ، من الآية ٣٣.

(٣) ينظر: الزهد للإمام أحمد ٢٤١، حلية الأولياء ٢/٤٩.

(٤) سورة الجاثية، الآية ٢١.

(٥) ينظر: حلية الأولياء ٢/١١٢.

المازني[ت ١٧٤هـ] إذا قرأ هذه الآية ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[(١)]، بكى حتى أقول اندق قصيص زوره"[(٢)]، وقام الحسن البصري ذات ليلة يصلي، فلم يزل يردد هذه الآية حتى السحر ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾[(٣)]، فلما قيل له في ذلك، قال: أرى فيها معتبراً، ما أرفع طرفاً ولا أرده إلا وقد وقع على نعمة، وما لا يعلم من نعم الله أكثر"[(٤)].

وجاء في سيرة محمد بن المنكدر بن الهدير [ت ١٣٠هـ]" أنه قام ذات ليلة يصلي ويقرأ القرآن فبكى وكثر بكاؤه، حتى فزع أهله وسألوه ما الذي أبكاه، فاستعجم عليهم وتمادى في البكاء، فأرسلوا إلى أبي حازم سلمة بن دينار الأعرج [ت ١٤١هـ]، فأخبروه بأمره، فجاء أبو حازم إليه فإذا هو يبكي، فقال: يا أخي ما الذي أبكاك؟ قد رعت أهلك أفمن علة أم ما بك؟ فقال: إنه مرت بي آية من كتاب الله عز وجل، قال: وما هي؟ قال: قول الله عز وجل: ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴾[(٥)]، فبكى أبو حازم أيضاً معه واشتد بكاؤهما، فقال بعض أهله لأبي حازم: جئنا بك لتفرج عنه فزدته، قال: فأخبرهم ما الذي أبكاهما"[(٦)]، ولذلك قال عنه مالك بن أنس:

---

(١) سورة الشعراء ، من الآية الأخيرة.

(٢) ينظر: حلية الأولياء ٢/٢١٤، وقصيص الزور: ما ارتفع من الصدر إلى الكتفين أو ملتقى أطراف عظام الصدر، القاموس" زور" ٢/٤٢.

(٣) سورة إبراهيم، من الآية ٣٤.

(٤) ينظر: التذكار ٢٠١.

(٥) سورة الزمر، من الآية ٤٧.

(٦) ينظر: حلية الأولياء، ٣/١٤٦، سير أعلام النبلاء، ٥/٣٥٥.

" كان محمد بن المنكدر سيد القراء، ولا يكاد أحد يسأله عن حديث إلا كان يبكي "[1].

وما كان هذا له ولغيره إلا بتوفيق من الله ومنة ثم بمجاهـدة الـنفس وترويضها على طاعة الله، قال رحمه الله تعالى:" كابدت نفسي أربعين سنة حتى استقامت"[2]، قال الغزالي:" ووجه إحضار الحزن أن يتأمل ما فيـه – أي في القرآن- من التهديد والوعيد والمواثيق والعهود، ثم يتأمل تقصيره في أوامـره وزواجره، فيحزن لا محالة ويبكي، فإن لم يحضره حزن وبكاء يحضر أربـاب القلوب الصافية فليبك على فقد الحزن والبكاء، فإن ذلك أعظم المصائب"[3].

وحامل القرآن المعتني به في مرتبة شريفة ومنزلة رفيعة، فلزمه أن يحافظ على ما كرمه الله به وأعلى به قدره وأن يقوم بالحقوق الواجبة عليه تجاه ربـه وتجاه المخلوقين، مع التحلي بأخلاق القرآن والحذر مما نهـى عنـه أو توعـد بالعقوبة الواقع فيه، وهو القدوة والأسوة لغيره، ومحط الأنظار عنـد النـاس، يلحظونه في كل أحواله وتصرفاته، وتلك –وايم الله- مسؤولية عظيمة وأمانـة كبيرة، أمانة الاقتداء به والنظر إليه والسير على نهجه بما أنعم الله به عليه ووفقه له، فكان لزاماً عليه أن يتقي الله في ذلك وأن لا يؤتى بالإسلام من قبله.

وفي أقوال سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى تأكيد لهذا المعنى وحث عليه وتحذير من ضده، وبيان لآثاره الحسنة والسيئة عليه وعلى غيره، فقد كان عمر رضي الله عنه يقول:" يا معشر القراء ارفعوا رؤوسكم فقد وضح لكم الطريق،

---

(١) ينظر: حلية الأولياء، ١٤٧/٣، سير أعلام النبلاء ٣٥٤/٥-٣٥٥.

(٢) ينظر: حلية الأولياء، ١٤٧/٣، سير أعلام النبلاء، ٣٥٥/٥.

(٣) ينظر: إحياء علوم الدين ٣٢٧/١.

فاستبقوا الخيرات، ولا تكونوا عيالاً على الناس"[١]، وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه:" يا معشر القراء استقيموا فقد سبقتم سبقاً بعيداً، وإن أخذتم يميناً وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيدا"[٢]، وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:" لو أن حملة القرآن أخذوه وما ينبغي له لأحبهم الله، ولكن طلبوا به الدنيا فأبغضهم الله وهانوا على الناس"[٣].

وقد زاد هذا الأمر إيضاحاً معاذ بن جبل رضي الله عنه بقوله:" إن من ورائكم فتناً يكثر فيها المال ويفتح القرآن، حتى يقرأه المؤمن والمنافق، والصغير والكبير، والأحمر والأسود، فيوشك قائل يقول: مالي أقرأ على الناس القرآن فلا يتبعوني عليه، فما أظنهم يتبعوني عليه حتى أبتدع لهم غيره، إياكم إياكم وما ابتدع، فإن ما ابتدع ضلالة"[٤]، وقال شميط بن عجلان:" يعمد أحدهم فيقرأ القرآن ويطلب العلم، حتى إذا علمه أخذ الدنيا فضمها إلى صدره،وحملها على رأسه، فنظر إليه ثلاثة ضعفاء: امرأة ضعيفة وأعرابي جاهل وأعجمي، فقالوا: هذا أعلم بالله منا، لو لم ير في الدنيا ذخيرة ما فعل هذا، فرغبوا في الدنيا وجمعوها، فمثله كمثل الذي قال الله عز وجل: ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾[٥].[٦]

---

(١) ينظر: التبيان ٤٣.

(٢) ينظر: جامع الأصول ٣/٢٤-٢٥.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) ينظر: حلية الأولياء ، ١/٢٣٢-٢٣٣.

(٥) سورة النحل، الآية ٢٥.

(٦) ينظر: حلية الأولياء ٣/١٣٠.

وفي المقابل فقد ذم سلفنا الصالح من قرأ القرآن ونُسب إلى أهله فلم يعمل به و لم يتحل بما يجب على أهله من التمسك به والسير على نهجه والاعتياض به عن غيره من الدنيا ومتاعها الفاني، وحذروا من هذا الصنيع وأبانوا خطره على صاحبه وضرره على غيره.

من ذلك قول سفيان بن عيينة:"من أعطي القرآن فمد عينيه إلى شيء مما صغر القرآن فقد خالف القرآن،ألا تسمع قوله سبحانه وتعالى﴿ **وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ** ﴾[1]، وقال أيضاً: ﴿ **وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا** ﴾[2]، وقوله أيضاً: ﴿ **وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ** ﴾ ......"[3].

وقال سفيان الثوري: " يا معشر القراء ارفعوا رؤوسكم، لا تزيدوا التخشع على ما في القلب، فقد وضح الطريق، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا تكونوا عيالاً على المسلمين"[4].

وبين الإمام العابد كرز بن وبرة الحارثي حقيقة القارئ الصادق للقرآن بقوله:" لا يكون العبد قارئاً حتى يكون زاهداً في الدرهم"[5]، قال الإمام الذهبي

---

(١) سورة الحجر، من الآيتين ٨٧-٨٨.

(٢) سورة (طـه) من اللآية، ١٣١.

(٣) سورة (طـه) الآيـة ١٣٢، وانظر : فضائل القرآن لأبي عبيد ٥٣، وروى الطبري نحوه في تفسيره ٤٢/١٤.

(٤) ينظر: حلية الأولياء ٣٨٢/٦.

(٥) ينظر: سير أعلام النبلاء، ٨٦/٦.

معلقاً على قوله: "هكذا كان زهاد السلف وعبادهم، أصحاب خوف وخشوع، وتعبد وقنوع، لا يدخلون في الدنيا وشهواتها، ولا في عبارات أحدثها المتأخرون من الفناء والمحو والاصطلام والاتحاد وأشباه ذلك، مما لا يسوغه كبار العلماء، فنسأل الله التوفيق والإخلاص ولزوم الاتباع"(١)، وبهذا كان الثناء على القراء الفقهاء من أصحاب ابن مسعود رضي الله عنه، يقول الإمام الشعبي:" ما رأيت قوماً قط أكثر علماً ولا أعظم حلماً ولا أكف عن الدنيا من أصحاب عبد الله، ولولا ما سبقهم به الصحابة ما قدمنا عليهم أحداً"(٢).

فقد تضمنت الأقوال السابقة الزهد في الدنيا بمعناه الصحيح، وهو ألا يكون قارئ القرآن متعلقاً بها، مقدماً إياها على أوامر الله والحقوق الواجبة عليه، وألا يكون حبه الشديد لها موقعاً إياه في الحرام منقاداً لشهواته أسيراً لرغباته وحظوظه منها، ولم يكن مرادهم أن يكون القارئ عالة على غيره لا يعمل ولا يتكسب، فيعف نفسه وأهله، بل أمروا بالعمل المباح والاستغناء عن الآخرين والتعفف عن مسألتهم.

ومما حذر منه سلفنا الصالح قراء القرآن المنتسبين إلى أهله تركَ العمل به والتكسب عن طريقه، وإنما يكتفي أحدهم بالانتساب إلى أهله والتصنع أمام الناس بذلك، وهو في الحقيقة ليس منهم، فباطنه يخالف ظاهره، لا يُرى عليه القرآن في خلق ولا عمل، ولا اتباع ولا سنة، قال عاصم بن بهدلة:" قال لي أبو وائل شقيق بن سلمة:" أتدري ما أشبه قراء أهل زماننا؟ قلت: ومن

---

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء، ٨٦/٦.

(٢) سبق تخريجه.

يشبههم؟ قال: أشبههم برجل أسمن غنماً، فلما أراد ذبحها وجدها غثى لا تنقي، أو رجل عمد إلى دراهم فلوس، فألقاها في زئبق، ثم أخرجها فكسرها فإذا هي نحاس"، وقال أيضاً:" مثل قراء أهل هذا الزمان كمثل غنم ضوائن ذات صوف، فغبط شاة منها فإذا هي لا تنقي، ثم غبط أخرى فإذا هي كذلك، فقال: أف لك سائر اليوم، وكان يقول:إن أحسن ما زين به المصحف تلاوته بالحق"[1].

وقد أبان علي بن أبي طالب رضي الله عنه أحوال القراء وأصنافهم بقوله – مخاطباً إياس بن عامر-:" إنك إن بقيت فسيقرأ القرآن على ثلاثة أصناف: صنف لله، وصنف للدنيا، وصنف للجدل، فمن طلب به أدرك"[2]، وفصل الحسن البصري أحوالهم بقوله:"قراء القرآن على ثلاثة أصناف: صنف اتخذوه بضاعة يأكلون به، وصنف أقاموا حروفه وضيعوا حدوده واستطالوا به على أهل بلادهم... كثير هذا الضرب من حملة القرآن لا كثرهم الله، وصنف عمدوا إلى دواء القرآن فوضعوه على داء قلوبهم، واستشعروا الخوف وارتدوا الحزن، فأولئك يسقي الله بهم الغيث وينصر بهم على الأعداء، والله لهذا الضرب من حملة القرآن أعز من الكبريت الأحمر"[3].

---

(١) ينظر لهما: حلية الأولياء ٤/١٠٤-١٠٥.

(٢) ينظر: أخلاق حملة القرآن ٤١، سنن الدارمي – كتاب فضائل القرآن- باب فضل من قرأ القرآن ٢/٤٣٤.

(٣) ينظر: أخلاق حملة القرآن ٦٤-٦٥، وذكر ابن حبان نحوه في المجروحين ١/١٤٨-١٤٩ مرفوعاً ولا يصح.

ومن الآفات التي قد يبتلى بها بعض القراء ما ذكره الفضيل بن عياض التميمي [ت ١٨٧هـ]، بقوله :" آفة القراء العجب"[١]، فإن هذا مرض خطير، يحرم صاحبه نفع ما معه من القرآن، ويمحق بركته فلا ينتفع منه غيره، فالعجب والكبر، والغرور واحتقار الناس مانع من إيصال الخير لهم، وسياج منيع يحرمهم بركة ما أنعم الله به عليه من نعمة القرآن الكريم.

وأختم هذا المبحث بكلام نفيس قاله الإمام الآجري مبيناً فيه أخلاق من قرأ القرآن وتعلمه للدنيا لا يريد به ربه عز وجل، وخطورة هذا الأمر عليه وتعديه إلى غيره، من ذلك قوله :" فأما من قرأ القرآن للدنيا أو لأبناء الدنيا فإن من أخلاقه أن يكون حافظاً لحروف القرآن مضيعاً لحدوده، متعظماً في نفسه متكبراً على غيره، قد اتخذ القرآن بضاعة يتأكل به الأغنياء، ويستقضي به الحوائج، يعظم أبناء الدنيا ويحقر الفقراء....

لا يخشع عند استماع القرآن ولا يبكي ولا يحزن، ولا يأخذ نفسه بالفكر فيما يتلى عليه، وقد ندب إلى ذلك، راغب في الدنيا وما قرب منها، لها يغضب ويرضى، إن قصر رجل في حقه قال: أهل القرآن لا يقصر في حقوقهم، وأهل القرآن تقضى حوائجهم، يستقضي من الناس حق نفسه، ولا يستقضي من نفسه حق الله عليها، يغضب على غيره زعماً لله، ولا يغضب على نفسه لله، لا يبالي من أين اكتسب، من حرام أو من حلال، قد عظمت الدنيا في قلبه، إن فاته شيء لا يحل له أخذه حزن على فوته.

لا يتأدب بأدب القرآن ولا يزجر نفسه عند الوعد والوعيد، لأنه غافل عما يتلو أو يتلى عليه، همته حفظ الحروف، إن أخطأ في حرف ساءه ذلك،

---

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء ٤٤٢/٨.

لئلا ينقص جاهه عند المخلوقين فتنقص رتبته عندهم، فتراه محزونـــاً مهمومـــاً بذلك، وما قد ضيعه فيما بينه وبين الله مما أمر به في القرآن أو نهى عنه غـــير مكترث به.

أخلاقه في كثير من أموره أخلاق الجهال الذين لا يعلمون، ولا يأخذ نفسه بالعمل بما أوجب عليه القرآن، إذا سمع الله عز وجل قال: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [١].

فمن كانت هذه أخلاقه صار فتنة لكل مفتون، لأنه إذا عمل بالأخلاق التي لا تحسن لمثله اقتدى به الجاهل، فإذا عيب على الجاهل قال: فلان الحامل لكتاب الله فعل هذا، فنحن أولى أن نفعله، ومن كانت هذه حاله فقد تعرض لعظيم وثبتت عليه الحجة، ولا عذر له إلا أن يتوب"[٢].

(١) سورة الحشر من الآية ٧.

(٢) أخلاق حملة القرآن ٤٣ ــ ٤٦ بتصرف ، وليراجع كلامة .

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعـــــد:

فبعد كتابة هذا البحث في عناية سلفنا الصالح –رحمهم الله تعـــالي– بالقرآن الكريم ظهرت النتائج الآتية:

- عموم هداية القرآن الكريم وشمولها، لكل عصر ومصر، وفي كل زمان ومكان، لمن طلبها وأقبل عليها، ورام الاستهداء بها، فقد تميزت بأنها عامة وتامة وواضحة.
- وجوب العناية بكتاب الله عز وجل في جميع المجالات وشتى الجوانب، فلا يغلب جانب على آخر، ولا يشتغل بأحد وجوه العناية به ويهمل غيره.
- بيان منهج سلفنا الصالح –رحمهم الله تعالى– في العناية بكتاب الله عز وجل، وشموله لجميع جوانبه، وهذا هو المنهج الحق والطريق الصواب، أسوة واقتداء بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم.
- عناية سلفنا الصالح بتعظيم القرآن الكريم وإجلاله، من حيث ملاحظة آداب تلاوته والالتزام بها، وتأدبهم في الحديث عنه والتعامل معه، وتحريم الاستخفاف والاستهزاء به.
- الحث على تلاوة القرآن الكريم وحفظه ومعاهدته والإكثار منه، وبيان السنة في ذلك، حيث لا يختم القرآن في أقل من ثلاث ليال، وهذا من فضل الله عز وجل وتيسيره على الأمة.
- اهتمام سلفنا الصالح بتلاوة القرآن ومحافظتهم على حزبهم منه لا يخلون به، مع عنايتهم بحفظه وتلقيه عن الشيوخ الأئمة القراء.

- حرصهم -رحمهم الله تعالى- على ترتيل القرآن وتجويده وتحسين الصوت حال تلاوته، يمتثلون أمر الله عز وجل به ويقتدون بهدي النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك.
- كان عليه الصلاة والسلام أحسن الناس صوتاً بالقرآن، يرتله ويتغنى به، بلا تكلف أو تشدد، مع العناية به، وهكذا كان أصحابه والتابعون لهم بإحسان، يرشدون إلى الهدي النبوي ويثنون على من التزمه ويقربونه، وقد اشتهر بذلك أئمة قراء كثير.
- حذر سلفنا الصالح من القراءة بالألحان المطربة والأصوات المنغمة المحدثة المركبة على الأوزان الموسيقية، فالقرآن أجل وأعظم من أن يسلك به هذا المسلك.
- بيان الغاية العظمى من إنزال القرآن الكريم وهي فهم معانيه والعلم بأحكامه ليتم العمل به وتطبيقه والسير على نهجه والتمسك به والوقوف عند حدوده.
- من منهج سلفنا الصالح في التعامل مع القرآن الكريم الجمع بين العلم والعمل، يتلقاه اللاحق منهم عن السابق، وبينوا خطورة الإعراض عن العلم والعمل به وآثاره السيئة على الفرد والأمة.
- بيان شرف علم التفسير والفقه بأحكام القرآن، إذ شرف العلم بشرف المعلوم، ولا أعظم ولا أشرف من كلام الله سبحانه وتعالى، وأن من وفق للعناية به فهو على خير عظيم وتوفيق مبارك من الله سبحانه.
- تفاوت الصحابة ومن بعدهم من التابعين في العلم بتفسير القرآن وبأحكامه، حيث جلسوا إلى المشايخ يتعلمون منهم ويتتلمذون على

أيديهم، مع الرحلة إليهم وتحمل المشاق والصعاب والتعرض للأخطار من أجله، و لم يكن لاجتهادهم في طلب العلم والتزود من الفقه نهاية إلا الموت.

- عناية أهل العلم منهم بتعليم معاني القرآن وأحكامه طلابهم، وإكرامهم وتقديهم والحفاوة بهم، وتعظيم هذا العلم وتوقير مجالسه.
- وجوب العناية ببقية العلوم المعينة على فهم القرآن ومعرفة تفسيره وأحكامه، كالعلم بلغة العرب والناسخ والمنسوخ وغير ذلك.
- بيان تحرج بعض السلف من التفسير، وسبب ذلك أنهم لم يكونوا يعلمون ما سئلوا عنه أو احتاطوا لأنفسهم لما علموا أن غيرهم سيكفيهم إجابة من سأل، أما التفسير بمجرد الرأي فحرام.
- أهل القرآن المعتنون به هم أولى الناس باتباعه والتحلي بنعوت أهله والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه، وخير الخلق نبينا وقدوتنا محمد صلى الله عليه وسلم، وقد أثنى عليه ربنا بذلك، وكذا صحابته رضي الله عنهم أجمعين.
- من نعوت أهل القرآن الجمع بين صلاح الظاهر والباطن، والتحلي بالسنة والحذر من البدعة، لهم حزب من القرآن لا يخلّون به، وتظهر آثار تلك العناية به على أخلاقهم وسلوكهم وأدبهم.
- التحذير من الإعراض عن القرآن وهجره وترك العمل به، فمثل حال هؤلاء كمثل اليهود الذين حملوا التوراة فلم يحملوها، فشبهوا بأقبح صورة، كحال الحمار الذي يحمل أسفاراً، نعوذ بالله من الخذلان.

- تواصي سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى وتعاونهم على العمل بالقرآن والوقوف عند حدوده، والإرشاد إلى ذلك والتذكير به، والثناء على من التزمه وعمل به وسار على نهجه.
- من نعت أهل القرآن رقة قلوبهم وسرعة تأثرهم وبكائهم، كما وصف الله عباده المؤمنين الصادقين الخاشعين، وأرق الناس قلباً وأسرعهم دمعة نبينا وقدوتنا محمد صلى الله عليه وسلم، والتحذير من قسوة القلب والغفلة.

ثبت المصادر والمراجـع :

- **الإتقان في علوم القرآن**- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكـر السـيوطي- تعليق مصطفى ديب البغا- دار ابن كثير- دمشق بـيروت- الطبعـة الأولى – ١٤٠٧هـ/١٩٧٨م.
- **إحياء علوم الدين** – أبو حامد محمد بن محمد الغزالي- دار الفكر – بيروت – بدون.
- **أخلاق حملة القرآن** – محمد بن الحسين الآجري- تحقيق وتعليق فواز أحـمد زمرلي – دار الكتاب العربي- الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**- محمد ناصر الـدين الألبـاني- المكتب الإسلامي- بيروت دمشق- الطبعة الثانية- ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- **أسد الغابة في معرفة الصحابة** – علي بن الأثير – دار إحياء التراث العربـي -بيروت –بدون.
- **الإصابة في تمييز أسماء الصحابة**- أحمد بن علي بن حجـر العسـقلاني- دار الكتاب العربي –بيروت- بدون تاريخ.
- **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية** – مصطفى صادق الرافعـي- دار الكتـاب العربي- بيروت –١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- **أعلام النبوة**- أبو الحسن علي بن محمد الـماوردي – دار الكتب العلميـة – بيروت – بدون تاريخ.
- **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان** – محمد بن أبي بكر ابن القيم- بعناية محمد حامد الفقي- دار المعرفة – بيروت – بدون.

- **الأمثال في القرآن**- محمد بن أبي بكر ابن القيم – تحقيق سعيد الخطيب- دار المعرفة – بيروت- الطبعة الثانية- ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- **الإيمان** – شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية- مكتبة أنس بن مالك – ١٤٠٠هـ.
- **بدع القراء القديمة والمعاصرة**- بكر بن عبد الله أبو زيد- مؤسسة قرطبة – مطبعة المدني- القاهرة-بدون.
- **البرهان في علوم القرآن** – بدر الدين محمد الزركشي – تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم- دار المعرفة – بيروت- الطبعة الثانية.
- **بلوغ المرام من أدلة الأحكام** – أحمد بن علي بن حجر العسقلاني – تحقيق رضوان محمد رضوان- دار الكتاب العربي- بيروت – ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م
- **تاريخ بغداد** – أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي – دار الكتاب العربي- بيروت.
- **تأويل مشكل القرآن** – عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري- بعناية أحمد صقر- المكتبة العلمية – المدينة المنورة – الطبعة الثانية – ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- **التبيان في آداب حملة القرآن** – أبو زكريا يحي بن شرف النووي – تحقيق عبد القادر الأرناؤوط – مكتبة دار البيان – الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- **التذكار في أفضل الأذكار** – محمد بن أحمد القرطبي – تحقيق بشير محمد عيون – دار البيان- دمشق وبيروت – الطبعة الرابعة – ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- **تفسير البحر المحيط** – أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي- دار الفكر- بيروت- الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- **تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل)** -علي بن محمد البغدادي الشهير بالخازن- دار الفكر- بيروت – ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

- **تفسير القرآن العظيم** -عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم - تحقيق أسعد محمد الطيب- مكتبة الباز -مكة المكرمة - الرياض- الطبعة الثانية- ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
- **تفسير القرآن العظيم** - ابن كثير- دار المعرفة- بيروت- بدون.
- **التفسير والمفسرون** - محمد حسين الذهبي- دار إحياء التراث العربي- بيروت- بدون.
- **تقريب التهذيب** - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - تحقيق محمد عوّامة- دار الرشيد- حلب- الطبعة الأولى- ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- **تهذيب التهذيب** - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني- دار صادر- بيروت - الطبعة الأولى- ١٣٢٥هـ.
- **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد**- سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب- المكتب الإسلامي- دمشق- الطبعة السادسة- ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- **جامع الأصول من أحاديث الرسول**- مبارك بن محمد بن الأثير- دار إحياء التراث العربي- بيروت- الطبعة الثانية - ١٤٠٠هـ/١٩٨٠.
- **جامع بيان العلم وفضله** - يوسف بن عبد البر- دار الفكر- بيروت- بدون.
- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري- دار المعرفة - بيروت - الطبعة الرابعة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- **الجامع لأحكام القرآن** - محمد بن أحمد القرطبي- تحقيق أحمد البردوني- دار الفكر- بيروت - بدون.
- **الجرح والتعديل**- عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي- دار إحياء التراث العربي- بيروت- بدون.

- **الجمان في تشبيهات القرآن**- عبد الله بن الحسين بن ناقيا- تحقيق محمود الشيباني- الطبعة الأولى- ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**- أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني- دار الكتاب العربي – القاهرة – الطبعة الرابعة-١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- **خصائص القرآن الكريم** – فهد بن عبد الرحمن الرومي- الطبعة الرابعة – ١٤٠٩هـ.
- **الداء والدواء (الجواب الكافي فيمن سأل عن الدواء الشافي)**- محمد بن أبي بكر ابن القيم- تحقيق يوسف علي بدوي- دار ابن كثير- دمشق – بيروت- الطبعة الأولى- ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي- دار الفكر – بيروت – الطبعة الثانية –١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.
- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**- أبو الفضل محمود الألوسي- دار إحياء التراث العربي- بيروت- بدون.
- **زاد المعاد في هدي خير العباد**- محمد بن أبي بكر ابن القيم- تحقيق شعيب وعبد القادر الأرناؤوط- مؤسسة الرسالة- بيروت – الطبعة الثالثة- ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- **الزهد**- أحمد بن محمد بن حنبل- تحقيق محمد بسيوني زغلول- دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- **الزهد والرقائق** – عبد الله بن المبارك – تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي- دار الكتب العلمية – بيروت.
- **سنن الدارمي** – عبد الله بن بهرام الدارمي- دار الفكر- بيروت – بدون.

- **سنن ابن ماجه** – محمد بن يزيد بن ماجه- تحقيق محمد الأعظمي- شركة الطباعة العربية السعودية- الطبعة الثانية- ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- **سنن أبي داود** – أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني- عناية محيي الدين عبد الحميد- دار إحياء التراث العربي- بيروت – بدون.
- **سنن الترمذي (الجامع الصحيح)** – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي- مطبعة مصطفى البابي الحلبي- القاهرة-الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
- **السنن الكبرى** – أحمد بن الحسين البيهقي- دار المعرفة-بيروت- بدون.
- **سير أعلام النبلاء** – شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي- تحقيق شعيب الأرناؤوط – مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الثانية- ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- **شرح النووي على صحيح مسلم**- أبو زكريا يحيى بن شرف النووي – دار الفكر – بيروت.
- **شعب الإيمان** – أحمد بن الحسين البيهقي- تحقيق محمد بسيوني زغلول- دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة الأولى- ١٤١٠هـ.
- **الشفا بتعريف حقوق المصطفى** – عياض بن موسى اليحصبي- تحقيق علي محمد البجاوي- طبعة مصطفى البابي الحلبي- القاهرة.
- **صحيح الجامع الصغير وزيادته**- محمد ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامي- بيروت – دمشق- الطبعة الثانية- ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- **صحيح سنن ابن ماجه** –محمد ناصر الدين الألباني- إشراف زهير الشاويش- مكتب التربية العربي لدول الخليج- الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- **صحيح سنن أبي داود**- محمد ناصر الدين الألباني- مكتبة المعارف- الرياض- الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

- **صفة الصفوة** – أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي- تحقيق محمود فاخوري- دار المعرفة –بيروت- الطبعة الرابعة –١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- **ضعيف الجامع الصغير وزيادته**- محمد ناصر الدين الألباني- المكتب الإسلامي –دمشق- الطبعة الثانية- ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- **الطبقات الكبرى** – محمد بن سعد – دار صادر – بيروت.
- **غاية النهاية في طبقات القراء** – محمد بن محمد بن الجزري- بعناية ج برجشتراسر- دار الكتب العلمية –بيروت –الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- **فتح الباري شرح صحيح البخاري** – أحمد بن علي بن حجر العسقلاني- ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي- إشراف الشيخ عبد العزيز بن باز- دار الفكر- بيروت- بدون.
- **فتح البر في الترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبد البر**- محمد المغراوي- مجموعة التحف النفائس الدولية- الرياض- الطبعة الأولى –١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
- **فتح المجيد شرح كتاب التوحيد** – عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ – بعناية الشيخ عبد العزيز بن باز – المكتبة السلفية – المدينة المنورة- الطبعة الخامسة – ١٣٩١هـ.
- **فضائل القرآن**- أبو عبيد القاسم بن سلام- تحقيق وهبي غاوجي- دار الكتب العلمية- بيروت – الطبعة الأولى- ١٤١١هـ.
- **فضائل القرآن** – أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير- تحقيق زهير شفيق الكبي- دار الفكر العربي –بيروت- الطبعة الأولى ١٩٩٠م.
- **فن التجويد** – عزة عبيد دعاس- مكتبة الثقافة- مكة المكرمة - الطبعة السابعة- ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

- **فيض القدير شرح الجامع الصغير**- محمد عبدالرؤوف المناوي- المكتبة التجارية الكبرى – القاهرة- ١٩٨٣م.
- **القاموس المحيط** – مجد الدين الفيروزآبادي – دار الفكر –بيروت- ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
- **الكشاف عن حقائق التتريل وعيون الأقاويل ووجوه التأويل**- جار الله محمود ابن عمر الزمخشري- دار المعرفة –بيروت – بدون.
- **كشف الأستار عن زوائد مسند البزار**- علي بن أبي بكر الهيثمي- تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي- مؤسسة الرسالة – بيروت- الطبعة الثانية – ١٤٠٤هـ.
- **لسان العرب** – محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي- المكتبة الفيصلية- مكة المكرمة- دار صادر- بيروت- بدون.
- **المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين** – محمد بن حبان بن أبي حاتم- تحقيق محمود إبراهيم زايد- دار الوعي – حلب- الطبعة الثانية – ١٤٠٢هـ.
- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** – علي بن أبي بكر الهيثمي- مؤسسة المعارف- بيروت-١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية**- جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم- مكتبة ابن تيمية.
- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** – عبد الحق بن غالب بن عطية- تحقيق المجلس العلمي بفاس- توزيع مكتبة ابن تيمية- القاهرة- بدون.
- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز –عبدالرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة- تحقيق طيار آلتي حولاج- دار صادر- بيروت- ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

- **المستدرك على الصحيحين وحاشيته تلخيص المستدرك للذهبي** - أبو عبد الله الحاكم- دار الكتاب العربي-بيروت.
- **المسند** – أحمد بن حنبل – المكتب الإسلامي- بيروت- الطبعة الخامسة- ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- **المسند** – أحمد بن حنبل- تحقيق أحمد شاكر- دار المعارف- مصر- ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.
- **مشكاة المصابيح** – محمد بن عبد الله التبريزي- تحقيق محمد ناصر الدين الألباني- المكتب الإسلامي- دمشق وبيروت- الطبعة الثالثة – ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- **المصاحف** – أبو بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني- دار الكتب العلمية – بيروت- الطبعة الأولى- ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- **مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه** – أحمد بن أبي بكر البوصيري- تحقيق كمال يوسف الحوت- مؤسسة الكتب الثقافية – دار الجنان – بيروت- الطبعة الأولى –١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- **المصنف** – عبد الرزاق بن همام الصنعاني- تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي- المكتب الإسلامي- دمشق –بيروت- الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- **المصنف في الأحاديث والآثار**- عبد الله بن محمد بن أبي شيبة- بعناية كمال يوسف الحوت- دار التاج – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**- شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي- تحقيق شعيب الأرناؤوط وصالح عباس- مؤسسة الرسالة –بيروت- الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

- **المفردات في غريب القرآن** – الحسين بن محمد الشهير بالراغب الأصفهاني- تحقيق محمد سيد كيلاني- مطبعة مصطفى البابي الحلبي- القاهرة- ١٣٨١هـ/١٩٦١م.
- **مناهل العرفان في علوم القرآن** – محمد بن عبد العظيم الزرقاني- دار الفكر- ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- **الموطأ** – مالك بن أنس- بعناية محمد فؤاد عبد الباقي- دار إحياء التراث العربي- بيروت-١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- **الناسخ والمنسوخ**- عبد القاهر بن طاهر البغدادي- تحقيق حلمي كامل- دار العدوي- عمّان- الطبعة الأولى- ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- **نسيم الرياض** شرح شفاء القاضي عياض- شهاب الدين الخفاجي- دار الفكر- بيروت- بدون.
- **النشر في القراءات العشر**- محمد بن محمد ابن الجزري- تحقيق علي الضباع – دار الكتاب العربي- بيروت – بدون.
- **نهاية الأرب في فنون الأدب**- شهاب الدين أحمد النويري- مصور عن دار الكتب- وزارة الثقافة والإرشاد القومي.
- **النهاية في غريب الحديث والأثر**- المبارك بن محمد بن الأثير- تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي – دار الباز – مكة المكرمة.
- **نواسخ القرآن**- أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي- تحقيق محمد أشرف الملباري- الطبعة الأولى – ١٤٠٤هـ- الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة.